

الأعمال
الكاملة



غناء النجوم

في
أصوات
عظيمة

غناء
النجوم

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

أسسها محمد المعتمد عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أحمد إبراهيم الفقيه

غناء

النجوم

المسرحيات

دار الشروق

الإهداء

إلى ذلك الفنان، الكبير، الشامخ، العبقري: محمد العقربي، الذي
جاء من تونس إلى طرابلس ليكون معلماً لي ولأبناء جيلي ممن عاشوا قريباً
منه، وشاهدوا الإبداع المسرحي، تمثيلاً وإخراجاً، فكراً ومعرفة، نظرية
وتطبيقاً، يتجسد في رجل كأنه أبوللو رب الفنون، يقدم عطايه الكريمة
لكل من حوله ضوءاً مبهرًا يضيء العقول والقلوب ويكنس من فوق
الأرض أكداس الظلام..

إليه فنناً وأستاذاً وإنساناً...

أهدي هذه الصفحات لإحياء لذكراه.

المؤلف

استهلال

هذه خمس مسرحيات قصيرة كتبها في فترات زمنية متفاوتة . فبالنسبة لمسرحيتي زائر المساء وصحيفة الصباح فقد كتبتهما باللغة الإنجليزية تحت تأثير أجواء الدراسة المسرحية عندما كنت في لندن في أواخر الستينيات وقد قدمت هاتين المسرحيتين من قبل أكثر من فرقة مسرحية باللغتين العربية والإنجليزية . ومن أهم هذه العروض تلك التي قام بها أعضاء فريق كندي على مسرح الكشف عام ١٩٧٢ ، والعرض الذي أخرجه الفنان عادل درويش لزائر المساء في مدينة لندن بممثلين بريطانيين . كما تولى تقديمها أعضاء هيئة تدريس المعهد الوطني للموسيقى والتمثيل باللغة العربية ضمن فعاليات مهرجان المعهد عام ١٩٧٢ وقد نشرت هاتين المسرحيتين في إحدتي مجموعاتي القصصية الصادرة في السبعينيات . مسرحية «هارولد» القصيرة جداً والتي لم تنشر من قبل ، هي أيضاً نتاج تلك المرحلة أما «لن يقتلوا الربيع» ، فهي «حوارية» وطنية ، كتبها إثر الغارة الأمريكية الظالمة على مدينتي طرابلس وبنغازي ، وتولى فريق من ممثلي المسرح الوطني بطرابلس تقديم العمل بمقرر رابطة الأدباء والكتاب والفنانين ، بإشراف مدير الفرقة الفنان الطاهر القبائلي .

وتبقى «غناء النجوم» المسرحية التي صار اسمها عنواناً لهذا الكتاب ، أحدث نص مسرحي كتبته حتى الآن أي عام ١٩٩٤ .

لقد كتبت للمسرح مسرحيات طويلة ، متعددة الفص
ومنصور والغزالات وكاتب لم يكتب شيئا ، التي تم تقديمه
ومسرحية أخرى لم تقدم بعد مثل «لعبة الرجل والمرأة
المسرحيات الصغيرة تتيح للكاتب فرصة أكثر للمغامرة الف
ما تقدم لجمهور من المتخصصين والمهتمين بمتابعة إنه
الطليعي والمسرح الحديث ولذلك فهي من الأعمال القر
وكل ما اتمناه أن تكون قريبة من قلوب القراء أيضاً .

غناء النجوم

المنظر - (أرض خلاء لا يحدها سوي الافق، وشجرة وحيدة، هزيلة، متييسة الأوراق، تملأ جذعها التتواء والحروق، تتوسط المسرح، وقد علقت بأعرافها المتييسة، أرجوحة مصنوعة من الشراشف، بالقرب منها تقف دراجة نارية، ورجل وامرأة يرتديان ملابس السافاري، يتعاونان في طي السرير السافاري أيضاً الذي كانا يستخدمانه في النوم، ومن حولهما صحنون وعلب فارغة ومناديل ورق وغير ذلك من أدوات تستخدم في النزهة، يتحدثان وهما يجمعان الأغراض ويهيئان نفسيهما لمغادرة المكان، بعد أن أمضيا ليلة تحت الشجرة. يحتفظ كل منهما بكأس الشاي الممزوج بالحليب، يضعه جانبا ويعود إليه بين فترة وأخرى. يستخدمان الأرجوحة في بعض الأحيان. الوقت صباحاً)

الرجل - (يضع السرير الذي طواه في المكان المخصص للأمتعة بالجزء الخلفي من الدراجة النارية، ويعود ليرتشف جرعة من فنجان الشاي الذي وضعه جانبا، ثم يتناول علبة كرتون ويفتحها ويأخذ منها قطعة جاتوه، مستخدما الشوكة) تعالي لكي تذوقها يا عزيزتي، إنها لاتزال لذيذة. لذيذة جداً. كنت اظن أن بقاء هذه التورتة، ليلة كاملة في العراء سوف يفسدها. (تقترب منه المرأة، فيضع قطعة الجاتوه في فمها)

المرأة - إنها لن تفسد حتى لو بقيت أسبوعاً كاملاً، لأن الهواء هنا خال من التلوث الذي يسمم الأطعمة كما يسمم حياة البشر، انظر كيف يصحو الإنسان هنا نشطاً مليئاً بالمرح، والانتعاش، وحب الحياة. شكراً للصدفة التي جعلتنا نتهدي إلى هذا المكان. (تفتح ذراعها للهواء، وتغمض عينيها وتقوم باستنشاق الهواء شهيقاً، وزفيراً) سأخزن في جسمي كمية إضافية من هذا الهواء النظيف، أستعين بها على الحياة في بيئة المدينة الملوثة. إنني لم أنم نوماً جميلاً في حياتي مثل البارحة. كنت أحلم أحلاماً لذيذة. هل أقول لك شيئاً وتعديني ألا تضحك.

الرجل - قولي، قولي ولا تصمتي أبداً، ولكن لا تمنعيني من الضحك. فأنا معك أريد أن أضحك وألعب وأنطلق، وأفريج كل شحنات الحزن والألم والكآبة التي كانت تملأ صدري قبل أن ألتقي بك.

المرأة - هل تصدقني إذا قلت لك بأنني تصورت البارحة، أنني أسمع غناء النجوم، وأن غناءها كان جميلاً.

الرجل - طبعاً أصدقك. إن حياة البشر فوق الأرض، ماكانت لتستمر لولا هداية النجوم، التي تباشر رعايتها لنا من المهد إلى اللحد. فلمن ستغني هذه النجوم إن لم تغن لامرأة مثلك تضيء وتسطع كما تسطع هي أثناء الليل.

المرأة - كان اللحن مليئاً بالفرح، وكانت النجوم تغني لي عن الحب، تدعوني لضيافتها، تريد أن تطعمني من موائدها الإلهية وتسقيني كأساً من نورها السماوي. سأحاول أن أتذكر اللحن. إنه على هذا

الشكل . (تترنم باللحن ضاحكة وهي ترقص وتصفق . يشاركها الرجل التصفيق والرقص ، ويردد معها اللحن ، ثم يتضاحكان ويرتحيان في حضن أحدهما الآخر ويفترقان)

المرأة - ما أجمل هذه الأرض الخلاء التي تبدو وكأنها سقطت من ذاكرة البشرية ، فلم يعتن أحد بتعميرها ، وبقيت كما هي منذ اللحظات الأولى لنشأة الكون . لا بد أن نعود إلى هذا المكان مرة أخرى .

الرجل - إنك أنت صاحبة الفضل في الاهتمام إليه ، أنت التي كنت ترفضين الالتجاء إلى الفنادق أو البقاء في البيوت ، وأردت أن نخرج لقضاء هذه الليلة وسط الطبيعة العارية .

المرأة - أردت أن تكون المغامرة كاملة . مغامرة في الحب ، بمثل ما هي مغامرة في الزمان والمكان . ستكون مغامرتنا العاطفية ناقصة ما لم نكملها ، بمغامرة الهروب بحبنا إلى الطبيعة التي لا ترتدي أي رداء ، ولا تتلون بأي لون ، غير لوني الأرض والسماء .

الرجل - ومن جظنا الجميل أن الطقس كان جميلاً طوال الوقت .

المرأة - حتى لو كان بارداً عاصفاً ، فإنه ما كان لينقص ذرة واحدة من استمتاعي بهذه اللحظات الاستثنائية ، الهاربة من زمن الروتين والتكرار والتلوث ، ومن ضجر العلاقات المحفوظة المعلبة .

الرجل - هذا لأنك امرأة استثنائية بكل المقاييس . لا أدري ماذا سيقول زوجك إذا عاد البارحة إلى البيت . أرجو ألا يصنع لك مشكلة .

المراة - لوعاد فإنني لن أعجز عن تلفيق ذريعة لغياي . ولكنني أعرف أنه لن يعود من سفره قبل نهاية الأسبوع .

الرجل - ومع ذلك كنت شديدة الحذر من أن نلتقي في البيت .

المراة - ليس خوفاً من عودته ، وإنما مراعاة لمشاعر البيت نفسه .

الرجل - هل تقولين مشاعر البيت ؟

المراة - نعم ، إن البيوت ليست مجرد حجارة ، إنها نبض وإحساس ، ومن اللياقة أن نضع ذلك في الاعتبار ، وإلا فسدت العلاقة بيننا وبين البيوت التي نسكنها . أما هنا ، فإن هذا الخلاء ، بعكس البيت تماماً . إنه دعوة للتحرر والانعقاد من كل تلك الاعتبارات والشروط والقيود والتقاليد التي تراكمت عبر العصور حتى صارت أسواراً تحجب عن عقولنا وقلوبنا ونفوسنا الضوء والهواء . (يدعوها الرجل إلى ركوب الأرجوحة ، ويهز بها الأرجوحة قائلاً)

الرجل - لم تكن حياتي سوى قبو مظلم قبل أن ألتقي بك . ولذلك فإن علاقة الحب التي تجمعنا هي بالنسبة لي الضوء والهواء ، ولا فرق بعد ذلك أن ألتقي معك في غرفة مغلقة ، أو فوق أرض عارية تباركها النجوم ، لأن كل مكان تكوينين فيه معي ، يصبح نعيماً أرضياً بالنسبة لي .

المراة - جمال هذه العلاقة أن تكون هكذا ، كما هي الآن . لحظات مسروقة من عمر الزمن الروتيني . لحظات لا تكرر نفسها ، كما هو الحال مع علاقات زوجية خلت من الإثارة والمغامرة .

علاقة تتجدد بتجدد الأمكنة والأزمنة والمناخات . لا أريدها أن تتحول إلى روتين . سوف يفقدها الروتين كل أسباب الإثارة والإبهار والتنوع ، ويحيلها إلي قالب من تلك القوالب الجاهزة ، المحفوظة ، التي ندس فيها رؤوسنا ، ونرهن لديها قلوبنا ، طلباً للراحة والأمان . (ترك المرأة الأرجوحة ، وتعود لجمع الأمتعة . يمضي الرجل أثناء الحديث إلى الأرجوحة ، ويجلس وفي يده تفاحة ، يقضمها بين الحين والآخر ، وجسمه يتأرجح ببطء مع حركة الأرجوحة)

الرجل - لم أكن أعرف الحب ، أو أعرف أن له مفعولاً ساحراً يحيل حياتنا من النقيض إلى النقيض ، ومن الضجر والنقمة على الحياة ، إلى وعد وأمل وإقبال على معانقة الحياة . لعلي كنت سأدمن المخدرات ، أو أصبح فرداً في إحدى العصابات ، لولم ألتق بك في لحظة باركتها السماء . وما إن رأيتك لأول مرة في متدي الوعد الجميل حتى أدركت أنك الجزء الناقص مني ، الذي لا تكتمل حياتي إلا به . فياليتك تركين الزوج الغائب ، غائباً إلى الأبد ، وتوافقين علي أن نبني كوخاً فوق هذه القطعة من الأرض التي هجرها البشر ونقيم هنا إلى آخر العمر .

المرأة - (ترك جمع الأمتعة وتتقدم لتهز به الأرجوحة) إنني أحبك بمثل ماتحبنني ولو لم أكن أحبك لما جئت معك إلى هذا المكان ولكنني لا أكره زوجي ، ولا أكره بيتي أو عملي . إنني أكره الروتين ، وسأعود الآن إلى حياة العمل والبيت ، وأنا أكثر انتعاشاً وقدرة علي مغالبة الروتين . سوف يسعدني دائماً أن نلتقي مثل هذا

اللقاء ، مرة كل شهر إذا أردت ، فهذا يلائمني أكثر من أي ترتيب آخر. (يترك الرجل الأرجوحة ، ويتنزع الشراشف من عرف الشجرة . تساعد المرأة في نفضها وطيها ووضعها مع الأمتعة الأخرى فوق الدراجة)

الرجل - (وهو يتنزع الأرجوحة) يجب أن نرحل قبل أن تزداد حرارة الشمس ولا ظل يحميننا (يعود إلي مواصلة الحديث السابق) لأنني لا أحتمل البعد عنك ساعة واحدة ، فكيف سأطبق الصبر على فراقك شهراً كاملاً . ليتني التقيت بك يوماً واحداً قبل الزواج . لو حدث هذا لتغير كل شيء .

المرأة - لا تقل هذا الكلام . لأنني كنت أحب زوجي عندما تزوجته . ولكن من يستطيع أن يصدر شهادة ضمان ، تضمن بقاء عواطف الحب كما هي ، لا يلحقها التغير مدى الحياة .

الرجل - لا أدري لماذا لا تتركين ذلك الرجل الذي لم تعد تربطك به أية رابطة غير عقد لامتني له في سجل الأحوال المدنية . إنني على استعداد لأن أكتب لك شهادة ضمان وأمهرها بدمي ، وأجعلها عهداً وميثاقاً بأن حبي لن ينطفئ مدى الدهر .

المرأة - إنك تستطيع أن تضمن نفسك ، ولكنني لا أستطيع أن أضمن نفسي . كل ما أستطيع أن أقوله ، إنني أعيش لحظات مبهجة معك ، علي هذا النحو ، وأتمنى صداقة أن تتواصل وتستمر ، فما الخطأ في ذلك ؟

الرجل - لا أقول إن هناك خطأ سوى حقيقة أنك امرأة متزوجة .

المراة - وما الذي يضريك أنت في ذلك . إنها مشكلتي ، وأنا أعرف كيف أتعامل معها . لعلك لاتعلم أن لزوجي أيضاً علاقاته النسائية ، التي لايسافر أو يغيب عن البيت إلا من أجلها . . لقد تخاصمت معه كثيراً حول هذه العلاقات التي كان ينكرها . ولكنني أعرف أنها موجودة ومع ذلك فأنا أعذره لأنني أعرف مايجس به من ضجر وهو يعيش حياة خالية من الهوايات . خالية من التنوع . إنني لا أعاني أحاسيس الإثم بسبب ما أفعله ، بالعكس ، أحس أنني وصلت إلى مصالحة معه ومع نفسي ، كل ما أتمناه أن تبقي علاقتي بك محتفظة بسريتها وخصوصيتها ، لأن كل شيء سينهار، إذا خرجت هذه العلاقة عن إطار السرية والكتمان .

الرجل - إنني لا أحتمل أن تطير في الهواء كلمة واحدة تسيء إليك . ولهذا فإنني سأطوي قلبي على أسرار هذه العلاقة ، وسأختار دائماً مثل هذه الاماكن المعزولة لقضاء ليالي الحب التي ستجمعنا إلى نهاية العمر .

(ينتهيان من جمع الأمتعة والأغراض الأخرى ويقفان في صمت وكأنهما لا يريدان مغادرة المكان)

المراة - (بعد لحظة صمت) هل حقاً سنترك هذا المكان؟

الرجل - نتركه اليوم لنعود إليه في يوم آخر.

المراة - نسيت أن أرتدي حذائي . لقد صار هو الآخر قيداً ، ما أجمل أن نتحرر منه أحياناً .

(تتردي فردة الحذاء ، وتبحث عن الأخرى ، بينما يستعد الرجل
لركوب الدراجة . يرتفع صوت رجل من خارج المسرح صائحا)
الصوت - قفا مكانكما ولا تتحركا . (يقفان وينظران باندھاش ، أحدهما
إلى الآخر ، في حين يعاود الصوت تحذيره)
قفا حيث أنتما ، دون حركة .

الرجل - ما الذي يقوله هذا الأحمق . ما الذي يريده منا ؟
المراة - (تأخذها المفاجأة هي الأخرى) لعله مجرم يريد بنا شراً . ولكنني
لا أرى سلاحاً في يده .

الرجل - إنه مجنون بالتأكيد (يصيح باتجاه صاحب الصوت) لماذا كل هذا
الصياح ؟ تعال هنا وأخبرنا بما تريد .

الصوت - أقول قف حيث انت .

المراة - دعنا نتركه ونمضي . إنه لن يستطيع أن يلحق بنا .

الرجل - ولكن لماذا يهددنا هكذا ؟ (يتحرك باتجاه الصوت) دعني أفهم
منك بهدوء ما هو وجه اعتراضك على

الصوت - (مقاطعاً) ألا تسمعنني ؟ أقول قف ، إنك في خطر . أية حركة
قد تؤدي بحياتك أنت والمراة التي معك .

الرجل - باللسماء . أين هو هذا الخطر ؟ (يلتفت شمالاً ويمينا) تفضل
بالمجيء هنا ودعنا نفهم هذا اللغز .

الصوت - خطر . أقول لك خطر . وهناك أكثر من لافتة تحيط بهذا

ن تقول بأنه خطر. إنني لا أستطيع أن أدخل هذه الأرض
 ء لأنها حقل ألغام. حقل مليء بالألغام، مهجور منذ أزمنة
 ب. هناك لغم في كل شبر. فهل فهمت؟

نمت إلى المرأة ويتبادل معها نظرة اندهاش) هل كنا حقاً
 ن الألغام ونحن لاندري؟

، حالة رعب) إنني لا أصدق ذلك. لا أريد أن أصدق
 ول.

طب صاحب الصوت) ولكننا دخلنا هذا المكان، وأقمنا
 ليلة كاملة دون أن يحدث شيء.

شكر السماء على حدوث هذه المعجزة. الحظ وحده أبقاكم
 ء حتى هذه اللحظة. كن حذراً منذ الآن. خطوة واحدة قد
 ي عليكم أنتم الإثنين.

ه يقول ذلك مازحاً. إنه يكذب. يا إلهي. إنها كارثة.

ثماً) لقد انتهت الحرب منذ أعوام طويلة مضت. فما الذي
 ، هذه الحقل مليئاً بالألغام. لعلك تمزح.

سي لا أمزح. وإذا أردت دليلاً فيمكنك أن تنظر خلفك،
 ه حصان جامح دخل هذا الحقل منذ يومين فقط، وتفجر
 تحت حوافره. لعلك ترى الشظايا أيضاً.

نمت ليتأكد مما يقوله صاحب الصوت) أظن فعلاً أنني أرى
 ا الحصان. أما الشظايا فهذهي تتناثر قريبة من هذا المكان.
 ري. أرى عظاما تلوح في تلك الناحية أيضاً.

المرأة - لا أريد أن أري شيئاً . يجب أن نخرج من هذا المكان .
نخرج من هذا المكان .

الرجل - لا تفزعني يا حبيبتني . لا تفزعني . سنجد حلاً نخرجنا ،
المأزق (يسأل صاحب الصوت) وما هو العمل الآن ؟

الصوت - لا أدري ماهو العمل . سأذهب لإبلاغ شرطة القرية .
قرية جداً لحسن الحظ . إنهم لا يملكون وسيلة لإسع
ولكنهم سيبلغون المدينة ويسألونهم عن حل . سيكون
صعباً . كونا على حذر . وداعاً .

الرجل - لاشك أن وقتاً طويلاً سوف يمضي قبل أن يأتي الحل ،
أدري كيف سيكون ولا أدري كيف يمكن أن نحصل
وطعام أثناء ذلك . فقد يستغرق الأمر أياماً . ونحن
جسابة لغير هذه الليلة التي قضيناها هنا .

المرأة - (بفزع) ماذا تقول ؟ هل تقول أياماً ؟ هنا ؟ وسط هذه
المرعبة ؟ وبين هذه الألغام والمتفجرات ؟ ويجوار هذه
وتحت هذه الشمس التي ستمطرنا ناراً بعد قليل ؟ هل
عقلك ؟

الرجل - ليتنا نملك وصفة سحرية تحيلنا إلى طائرين ، حتي ؛
التحليق والفرار . ولكن لا حيلة لنا .

المرأة - ألا يمكنك أن تفعل أي شيء ؟

الرجل - ليس أمامنا سوى الانتظار .

المراة - لقد جف حلقي ، أريد جرعة ماء .

الرجل - لم يعد هناك ماء .

المراة - إذن علبة عصير . أي شيء أبلل به حلقي .

الرجل - (يهز رأسه أسفا)

المراة - هل حقاً استهلكنا كل شيء؟

الرجل - وهل كنا نقرأ المستقبل لكي نأتى بفائض من الطعام والشراب .

المراة - إذن فإن الهلاك بانتظارنا لاحالة . إن لم يكن بفعل الألغام
فبسبب الجوع والعطش . (ترتمي في حضنه وهي ترتعش) إنني
خائفة . خائفة .

الرجل - تذكرني دائماً أنني معك ، وتأكدي أن كل شيء سيتهي علي
خير .

المراة - إنني لا أخشى الموت ، بقدر ما أخشى الفضيحة .

(ينفصلان)

الرجل - دعي عنك هذه الأفكار السوداء . لن يكون هناك موت
ولافضيحة .

المراة - لاتنس أنني امرأة متزوجة . الفضيحة قادمة دون شك .

الرجل - يجب أن نفكر في حل يخرجنا سريعاً من هذه الورطة . لعلنا
نستطيع أن نقتفي أثر الدراجة عندما دخلنا (ينظر إلى آثار
العجلات ثم يتأفف في ضجر) هناك مناطق كثيرة اختفي منها

أثر الدراجة . لقد كتب علينا البقاء حتى يأتي الإنقاذ . سيكون
الانتظار صعباً .

المرأة - لا أدري كيف سيكون أثر الصدمة على زوجي عندما يعرف
بأمر خيانتني له . إنني أخاف أيضاً على أبي المريض ، فهو يفاخر
دائماً بأصالة بيتنا وانتسابنا إلى سلالة ملكية منقرضة . إن خبراً
كهذا سيقضي عليه .

الرجل - إذن فانت ممن تجري في عروقهم الدماء الزرقاء . إن هذا يفسر كل
شيء .

المرأة - يفسر ماذا ؟

الرجل - يفسر شخصيتك الأمرة الناهية ومزاجك الذي يحب التنويع
والإثارة . لا غرابة في أن تصطفيك النجوم ، وتشارك صديقة
تناجيتها وتغني لها .

المرأة - وهل هذا هو الوقت المناسب للسخرية والمزاح .

الرجل - إن ما أقوله ليس سخرية ولا مزاحاً ، إنني أصدق أنك سليلة
بيت ملكي . وأنا فخور بذلك دون شك . ولكن الوقت والمكان ،
لا يسمحان بالاحتفاء والاحتفال بهذا السر الذي تكشفين عنه
لأول مرة .

المرأة - أرجوك ، اسخر كما تشاء ، دون أن تجعلني موضوعاً
لسخريتك .

الرجل - إنه مجرد حديث لتمضية الوقت . ألا تجدينه صعباً ومضجراً هذا

الانتظار، في مثل هذا المكان حيث لا شيء يجاورنا غير هذه الشجرة؟ .

المرأة - وهذه الألغام . لاتنس .

الرجل - قلت الشجرة بأمل أن نعيد سيرة الإنسان الأول عندما كان ينام بين الأغصان . سيكون ذلك أكثر أماناً .

المرأة - (وهي ترفع رأسها تتأمل أعراف الشجرة) يجب أن يتحول الإنسان إلى سنجاب قبل أن يستطيع أن ينام بين هذه الأغصان الميتة .

الرجل - ربما نرمي فوقها رداء ، يصنع لنا ظلاً ، يحمينا من ضراوة الشمس عند القيلولة .

المرأة - ها قد بدأت تفكر أفكاراً عملية .

الرجل - إنني مازلت حائراً لا أفهم هذا الذي حدث . لقد استطعنا الدخول إلى هذا المكان وقضينا كل هذا الوقت نركض ونلعب ونتحرك بمنتهى الحرية ، دون أن يحدث شيء . ثم يأتي رجل أحق ليقول لنا إننا نمشي فوق حقل من الألغام وإن أي خطوة نخطوها ستجلب لنا الهلاك . والسؤال هو، لماذا لم تتفجر هذه الألغام ونحن نجري فوقها؟ . . إنها لم تتفجر، لأننا لم نكن نعبأ بها أو نعرف عنها شيئاً . لقد أسقطناها من حسابنا ، فأسقطتنا هي أيضاً من حسابها وتركتنا وشأننا . إنني على يقين بأننا كنا سنخرج سالمين كما دخلنا ، لو لم يأت هذا الرجل ويزرع بكلماته الألغام في قلوبنا .

المرأة - ما أكبر غفلي وأنا أظن أن هذه الأرض الخلاء قد سقطت من ذاكرة البشرية ، لأكتشف الآن أن البشرية لم تنسها أبداً . لقد اعتنت بها أكثر من أي مكان آخر . لأنها أودعت في جوفها أعظم إنجازات الرعب والهلاك .

الرجل - إنها فخاخ للموت ، ينصبها إنسان لكي يصطاد بها إنسانا آخر ، تمشياً مع لعبة اسمها الحرب . وها نحن في وقت السلم ، وبعد انقضاء أعوام طويلة على انتهاء الحرب ، نقع في هذا الفخ . ساعحكم الله أيها الأسلاف الموتى .

المرأة - لا أدري لماذا جئت بنا إلى هذا المكان اللعين ، وكأن الأرض ضاقت بالأماكن المريحة الآمنة .

الرجل - إنه لم يصبح لعينا إلا الآن . أنت تنسين إنك أنت السبب . عرضت عليك أن نبقى لقضاء الليل في الأماكن التي تسمينها مريحة وآمنة ولكنك أردت أن تذوقي طعم المغامرة .

المرأة - وهل لك عين تلومني بعد هذه التضحيات التي فعلتها من أجلك . لقد أسلمت نفسي لك ، ووضعت ثقتي فيك . فماذا كانت النتيجة ؟ إنك لم تر حتى اللافتات المنصوبة على الطريق ، تحذر من دخول هذا الخلاء .

الرجل - ألسنت أنت من كان يدفعني لأن أقود الدراجة بأقصى سرعة ممكنة ؟ بل كنت تريد سرعة أكثر من سرعتها القصوى . فكيف أستطيع بعد ذلك أن أتمهل وأقرأ اللافتات ؟ كنت تفعلين ذلك طلباً لمزيد من الإثارة ، فلماذا تندمين الآن ؟ لماذا لاتستمتعين بهذه الإثارة التي لاتعادلها إثارة في الدنيا .

- المراة - إنني لا أتصور كيف سأبقي معك ساعة واحدة بعد الآن .
- الرجل - يمكنك أن تغادري هذا المكان ، فلا أحد يمنعك .
- المراة - سأذهب على الفور . احضر لي فردة حداثي التي ترتقي هناك .
- الرجل - لعلها فردة حذاء ساندريلا ، التي ستنقلك في لمح البصر إلى قصر أجدادك الملكي . ما أفلحك وأنت تظنين أن اللغم إذا انفجر سيصيبني وحدي . إنه سيصيبك أنت أيضاً .
- المراة - كم كنت غبية ، غافلة عن الهناء الذي كان يملأ حياتي لأندفع وراء مغامرة لم تجلب لي إلا المهانة والشقاء .
- الرجل - كنت فقط تستخدميني لإرضاء نزوة من نزواتك . لم يكن حبك لي حبا وإنما استغلال . إنني أنا الغبي الذي رضى بأن يكون خادما لرغباتك وإضفاء عنصر التجديد على حياتك المملة الفارغة .
- المراة - وماذا عن حياتك أنت ؟ لماذا تبدو غامضاً ، كتوما ، لاتبوح بشيء من أسرار حياتك وعلاقاتك . إنني لست غبية إلى هذا الحد ، أو غافلة عن خداعك لي ، وعلاقتك بتلك الأرملة البدينة ، الدميمة ، الثرية .
- الرجل - وهل تحسبينه خداعا ، أن تكون هناك امرأة أخرى ، أعرفها ، وألتقي بها بين الحين والآخر . لقد عرفتها قبل أن ألتقي بك .
- المراة - وهل أنهيت علاقتك معها ، أم إنك بقيت محتفظاً بها ، طمعاً في الثروة .

الرجل - ها أنت تعترفين بأنك تعلمين كل شيء عن علاقتي بها ، فأين الخداع إذن؟ وإذا كنت قد واصلت علاقتي بها ، فما ذلك إلا لأنك ترفضين أنت أيضاً أن تفكي ارتباطك الزوجي من أجلي .

المرأة - كنت واضحة معك منذ البداية .

الرجل - وأنا أيضاً كنت صادقاً في رغبتني ، أن أنهي أية علاقة أخرى ، لأبقى معك .

المرأة - هل أنت تحبها حقاً؟

الرجل - إنها تحبني . أنا واثق من ذلك ، ولا تريد شيئاً في الدنيا سوي أن تبقى معي .

المرأة - أما أنت فلإنك لا تحب أحدا سوى نفسك . تريدني للترهة والتسلية وتريدها هي من أجل الثروة .

الرجل - لعلي ظلمتها وظلمت نفسي عندما ذهبت أركض وراء حبك الذي لم يكن إلا سراباً .

المرأة - يمكن أن تعود إليها وترضي طموحك بالانتقال إلى طبقة الأغنياء .

الرجل - لعل هذا ما يجب أن أفعله . انتهز الفرصة أنا أيضاً وأحاول أن أطفو فوق سطح الدنيا بدلاً من البقاء في القاع . هذا هو ما يفعله كل الناس في هذا الزمان .

المرأة - لقد تأخر بك الوقت يا عزيزي . لقد فقدتني وستفقدتها هي أيضاً عندما تعرف خداعك لها . إنك تلعب لعبة خاسرة .

الرجل - (بعد لحظة صمت) ما الذي جاء بنا إلى هنا؟ إن هذه الألغام سوف تفسد كل شيء .

المراة - إنك أنت المسئول عن وجودي في هذا المكان، وعليك ان تعيدني الآن إلى المكان الذي اخذتني منه .

الرجل - الآن، الآن؟ إنك متفائلة كثيراً يا عزيزي، حتى لو أمكنك الخروج من هنا، فليس قبل أن تسمعي غناء النجوم لعدة ليال قادمة .

المراة - أية نجوم هذه؟ هل صدقت أن النجوم تغني؟ لم يكن ذلك سوى أضغاث أحلام .

الرجل - إنك أنت من قال هذا الكلام . إنها تغني وترقص وتتكلم وتعرف أسرار البشر، وإلا ما استخدمها المنجمون لمعرفة المستقبل وقراءة المجهول . إنني أستغرب كيف لم تخبرك بالخطر الذي يحيط بنا . لقد خدعتك النجوم . وهاهي تختفي من سمائها لتتركك مع الرعب والألغام .

المراة - ومعك أنت ، وهذا أكثر قسوة من رعب الألغام . أريد فعلاً أن أعود إلى بيتي فلا أتركه ولا أترك زوجي إلى الأبد . ولكن الفضيحة شيء فظيع . لا أدري ماذا أفعل إزاء هذه الفضيحة ستأتي الشرطة ، ومحاضر التحقيق ، وسيعرف زوجي كل شيء . إن العطش يحرق حلقي ، أريد ماء (تلتقط علبة مشروب فارغة وترمي بها) إنك أنت السبب في كل هذه المصائب . أرجوك دعني وشأني . أريد أن أبقى قليلاً مع نفسي . أريد أن أكون

وحددي . ألا تسمع ؟ أريدك أن تتركني بمفردي . لا أستطيع التفكير وأنت معي .

الرجل - (يضحك ساخراً) وإلي أين تريديني أن أذهب .

المراة - إلي الجحيم إذا أردت .

الرجل - وهل هناك جحيم أكثر من هذا الجحيم الذي يحيط بنا .

المراة - حسناً سأذهب أنا إذن .

الرجل - لاتنسي أن تقفلي الباب وراءك .

المراة - (تندفع في حين يحاول الرجل إيقافها . تمضي خطوتين وتقف متجمدة في مكانها) أحس أن شيئاً يتحرك تحت قدمي . إنقلدني أرجوك . إنه اللغم . أريد إنقاذاً سريعاً .

الرجل - (يقفز ويختبئ بجذع الشجرة) لاترفعي قدمك : قفي حيث أنت . إذا رفعت قدمك فسوف يتفجر اللغم . لاتتحركي . تأكدي جيداً . لعلك واهمة . لعله ليس لغماً . وإنما خنفسة تتحرك تحت قدمك . انظري جيداً .

المراة - إنه لغم بالتأكيد . إنه يصدر أزيزاً . أرجوك تحرك . أفعل شيئاً . أدركني قبل أن يمزق جسمي الانفجار .

الرجل - وماذا أستطيع أن أفعل ؟ ليس بإمكانني أن أفعل شيئاً . قفي حيث أنت .

المراة - أسرع واحفر بأظافرك حفرة خلفي أرتمي بها ، لكي لايتفجر اللغم في جسمي ثم عد للاحتباء بالشجرة .

الرجل - إن قدمي لاتسعفانني للقيام بأية حركة . ابقى كما أنت حتى يأتي رجال الشرطة .

المراة - (ترفع رجلها دون أن يحدث شيء ، وتعود إلى مكانها تحت الشجرة) كنت فقط أختبر شهامتك . هيا أخرج من مخبتك أيها الجبان . فلن يحدث شيء لأنه لم يكن هناك أي لغم .

الرجل - (يعود إلى مكانه بجوار المراة) ياله من مزاح ثقيل . كان يمكن أن يكون حقيقة فتقتلى نفسك وتقتليني معك .

المراة - وكيف تريدنا أن نقضي زمن الانتظار . إن مزاحا كهذا يفيدنا كثيراً . لأنه يجعلنا نعرف بعضنا أكثر فأكثر .

الرجل - تعرفين أن للحظة الخطر منطقة الخاص ، حيث تغيب الإرادة الواعية ، ولاتبقى سوى غريزة المحافظة على الذات .

المراة - ياله من صدق تحسدك عليه الملائكة . لا أدري كيف لاتخجل من نفسك ؟

الرجل - ما معني هذا الكلام ؟

المراة - معناه أننا هنا في هذا المكان لمجرد أن هناك ألغاماً تحاصرنا ، لأنني لا أريد أن أرى وجهك بعد اليوم .

الرجل - للأسف فإنك ستريه كثيراً هذه الأيام . لأنه لاوجه غيره أمامك . وستكون هناك مناسبات كثيرة تجعلك تغيرين مشاعرك نحوي . هيا دعني الابتسامة تعود إلى وجهك .

المراة- نعم، ابتسامة تليق بهذا البلاء. ليتني أجد قطرة ماء واحدة،
فالعطش سوف يقتلني قبل أن يأتي الإنقاذ.

(يأتي صوت الرجل الذي يتكلم من خارج المسرح مصحوباً
بضجيج الجمهور ممن جاءوا معه لمشاهدة ماحدث)
الصوت - أنتم يا من هناك.

(الرجل والمراة يقفان وينظران إلى مصدر الصوت والضجيج)
الرجل - ها هو الرجل قد عاد لعله جاء ومعه فريق الإنقاذ.
المراة - ستنتهي محنتنا إذن. شكراً للسما.

الصوت - لقد أبلغت الشرطة وهم يواصلون اتصالم مع العاصمة طلباً
للإنقاذ. معي عدد من رجال الإعلام يريدون التحدث
إليكما.

المراة - يا إلهي. انظر إلى هذا الحشد من البشر. رجال ونساء وأطفال
وآلات تصوير. إنهم يتفرجون علينا وكأننا حيوانات داخل
القفص.

الرجل - بدلاً من فريق الإنقاذ، يأتي إلينا فريق الإعلام. لاشك أنهم
سيفرحون كثيراً لو رأوا لغماً يتفجر تحت أقدامنا وتمكنوا من
تصويره صوتاً وصورة. ستكون خبطة إعلامية عالمية.

المراة - إنها الفضيحة. إنني امرأة ساقطة. هذا ما سيقوله العالم عني.
(تحففي وجهها بين يديها ثم تديره بالاتجاه المعاكس لمصدر
الصوت قبل أن ترفع يديها عن وجهها)

صوت المذيع - نرجو من السيدة أن تدير وجهها نحونا فقد بدأنا التصوير. تكلمنا بصوت مرتفع حتى ننقل المشهد كاملاً بالصوت والصورة. نريد بعض المعلومات.

الرجل - (صائحا) نحتاج إلى إنقاذ سريع. ليس لدينا ماء ولا طعام يساعدانا على الانتظار.

صوت المذيع - سوف نرغم الحكومة على التدخل بأقصى سرعة ممكنة. ستكون قضية كبيرة تثير الرأي العام وتلهب خيال المتفرجين. ساعدونا بالمعلومات. من أنتم. ومن أين جئتما وماذا تفعلان في هذا المكان؟

المرأة - يا إلهي، ما أبشع هذه الأسئلة.

الرجل - نزهة. جئنا هنا في نزهة.

صوت المذيع - أتمنى أن تكونا قد حصلتما على نزهة ممتعة.

المرأة - عن أي متعة يتكلم. إنه يسخر منا. إنه يهزأ بنا. لماذا لا ترد عليه؟

صوت المذيع - لقد قرأتما اللوحة التي تحذر الناس من دخول هذا المكان. فهل أنتما عاشقان، تريدان الانتحار بوسيلة جديدة ومبتكرة، لم يكتشفها العشاق المنتحرون من قبل؟

الرجل - لم نر اللافتة ولم نقرأها. لم نكن نعرف أنه حقل ألغام.

المرأة - لماذا لم تقل له إنه هو الذي يدفعنا الآن إلى الانتحار بهذه الأسئلة السخيفة.

صوت المذيع - إذن فقد كتبنا تجهلان طبيعة المكان . حسبتهام مكانا بريثا
فإذا به حقل ألغام . هكذا تبدأ القصص دائما . كل
القصص العظيمة . بها في ذلك رحلة الإنسان في الحياة .
سأقول كل هذا عند قراءة التعليق . والآن فإننا نريد أن
نرى وجه السيدة . سوف يتعاطف معها الجمهور وهو يرى
أثر الدموع في عينيها . نريد أن نعرف من أنتم على وجه
التحديد . وماذا تعملان في الحياة .

الرجل - لا أهمية لذلك لعللاقة له بموضوعنا . اننا عطشانان ولا ماء
لدينا . افعلوا شيئا لإسعافنا .

صوت المذيع - ستكون القصة ناقصة إذا لم ننقل للمتفرج من ومتي وأين
وكيف ولماذا . المتفرج يجب أن يعرف كل شيء . فاخبرني
بسرعة من أنتم وماذا تعملان في الحياة .

المرأة (للرجل) لا تقل له شيئا يكشف حقيقة شخصيتي .

الرجل - إنني محصل بشركة الكهرباء ، يقرأ عدادات النور .

صوت المذيع - والسيدة ؟

الرجل (للمرأة) سأختار لك مهنة وهمية (بصوت مرتفع) إنها بائعة بمتجر
للعطور .

صوت المذيع - شيء رائع . النور والعطور . ياله من تجانس وتناغم ،
لاشك أنكما متزوجان .

الرجل - صديقان . مجرد صديقين .

صوت المذيع - إذن فهي مغامرة عاطفية . نريد ان نراكما في وضع أكثر حميمة . سيكون لذلك تأثيره البالغ الذي سيبقى خالدا في أذهان المتفرجين . مشهد غرامي وسط حقول النار .

المراة - قل له ان يرحل من هنا قبل ان أبحث عن لغم ارميه في وجهه .
صوت المذيع - جئنا هنا لكي نقدم لكما المساعدة وننقل مأساة وجودكما هنا إلى الرأي العام .

المراة - انهم هم الذين يصنعون لنا المأساة . يصنعون لنا الفضيحة . ليتهم يخفون .

الرجل - لقد وصلت روحي إلى حلقي . لا أعرف كيف أعبر عن غيظي من سخف حديثه واستجوابه .

صوت المذيع - ما الذي تريدان إبلاغه للرأي العام .

الرجل - نريد ان نخرج سريعا من هذا الحقل الملعون ، نريد ان نعود إلى بيوتنا . .

صوت المذيع - كل هذا سيحدث . وماذا أيضاً .

الرجل (للمراة) وماذا أيضاً . هل أقول له انني اريد ان اتبول ولكنني لا أستطيع ان افعلها تحت مراقبة آلات التصوير .

صوت المذيع - لم نسمع صوت السيدة . فما الذي تريدان إبلاغه للأهل والاصدقاء ، ياسيدي .

المراة (للرجل) انه يريدني ان أعلن فضيحتي للعالم . اخبره انني امرأة بكاء لا تتكلم . لقد تخشب جسمي كله . اريد ماء .

الرجل - السيدة متعبة . العطش أفقدها القدرة على الحديث . ليتكم تستطيعون تدبير بعض الماء لنا .

صوت المذيع - هل نستطيع أن نعرف ما الذي رأيتماه وسمعتماه أثناء هذه التزهة . أي شيء طريف يبهج المتفرجين .

الرجل - ليتكم أرسلتم لنا السيرك القومي قبل تشريفكم لنا ، لكي تكون فرصة لإخباركم بما رأيناه وسمعناه من طرائف .

صوت المذيع - إنك لم تفقد روح الدعابة رغم المأساة . ومع ذلك فإنهم يقولون بأن ضحايا الحرب يقومون ليلاً ويصدرون أصواتاً تملأ هذا المكان . فهل سمعتم هذه الأصوات أو رأيتم هذه الأشباح .

المرأة (للرجل) إنني لا أبالي بحصار الأشباح ولا حصار الألغام . كل ما أريده أن يختفي هذا المذيع ومن معه من مصوريين وفضوليين . لا بد أن نطردهم فوراً من هذا المكان . إننا لسنا مادة للفرجة والسخرية . افعل شيئاً أرجوك .

الرجل - (للمذيع) لاشك أننا سوف نسمع ما تقوله الأرواح في الليالي القادمة . أما البارحة ، فإننا لم نسمع شيئاً سوي غناء النجوم .

المرأة (للرجل) ما هذا الذي تقوله أيها الأحمق . أسألك أن تطردهم فتحدثهم عن النجوم .

صوت المذيع - هل قلت غناء النجوم .

الرجل - نعم ، تلك التي في السماء . تلك النجوم التي لانراها الآن لأنها

تجيد لعبة التنكر والاختفاء ، كما تجيد العزف والغناء . لقد
أسمعتنا غناء جميلاً ليلة البارحة .

صوت المذيع – سيكون ذلك شيئاً مثيراً وجديداً . سيكون شيئاً ممتعاً
للمشاهدين أن يعرفوا طبيعة هذا الغناء . فهل تستطيع
أن تعيد لنا هذا اللحن الذي غنته لكما النجوم .

الرجل – كانت النجوم تغني هكذا (يغني ذات اللحن الذي سبق أن
دندنت به المرأة)

المرأة – هل فقدت عقلك ؟ (يواصل الرجل الدندنة)

صوت المذيع – هل يمكن أن ترفع صوتك أكثر حتى يصل إلى ناقل
الصوت . نريدك أن تغني بصوت مرتفع . ليت السيدة
أيضاً تغني معك .

الرجل (للمرأة) لا تكوني سلبية هكذا . يجب أن نكرم هؤلاء الضيوف
الذين جاءوا لخدمتنا . هيا شاركوني الغناء كما أمر السيد
المذيع . سنمنحهم الخبطة الإعلامية العالمية التي يريدونها .

(يدندن اللحن بصوت مرتفع وتشاركه المرأة أيضاً . . يغنيان
لحنهما بطريقة عصبية ، وهما يرقصان ويتشنجان . يتركان مكانهما
ويتجهان رقصاً فوق حقل الألغام ، صوب مصدر الصوت .
ترتفع من خارج المسرح صيحات الرعب والخوف والتحذير)

أصوات من خارج المسرح – قفا حيث أنتما . إنه الجنون . ستفجر فيكما
الألغام وسنهلك نحن أيضاً معكما . إننا نتوسل إليكما أن تكفا

عن هذا الرقص . لم يعد أمامنا مجال للهرب والنجاة . قفا بالله
عليكما . إنه الانتحار . إنه الجنون . ستقتلانا جميعاً .
(يرتفع صراخ المجموعة التي خارج المسرح مختلطاً بغناء الرجل والمرأة)
(يسدل الستار ويستمر الصراخ مختلطاً بالغناء)

زائر المساء (مسرحية من فصل واحد)

(غرفة الاستقبال في بيت إحدي سيدات المجتمع ببلد في أوروبا الغربية حيث الصالون والمدفأة . . ومنضدة صغيرة فوقها مزهرية . . الوقت مساء . شعاع من الشمس الغاربة ، يأتي عبر نافذة بالخلف . من خلال النافذة تظهر حديقة البيت خضراء مزهرة . . ترفع الستارة فنري (الخادمة) وحدها على خشبة المسرح تفرغ منافض السجائر، وترتب أثاث الغرفة . . وتغني لنفسها الأغنية التالية) :

الخادمة : (تغني)

عالياً تطير أيها النسر

عالياً أنت تطير

هل أعرتني جناحيك

لأقول تسبيحة حب صغيرة

إلى أعلى الرجال لدي

في مكانه العالي

في سمائه البعيد .

حيث يتداخل الظل بالضوء . . والضوء بالظل .

السيدة : إنك لاتصمتين لحظة عن الغناء لهذا النكرة الذي تحبين ، ناسية
أن تشعلي النور كما طلبت منك . لاتتعيي نفسك . . فلن تكون
بك حاجة للصعود إليه إنه الآن في منتصف الطريق هابطاً
إليك .

لابد أن شمس الربيع قد أذابت سحابة الشتاء التي اختارها
ملجأ له . . وسنسمع عما قريب صوت ارتطامه . . فوق سطح
هذا البيت ربياً (تضئ النور)

الخادمة : الشمس لم تغرب بعد ياسيدي . . كيف نضئ النور والشمس
مازالت تغمر الدنيا؟

السيدة : إن هذا كمين للظلام ، ألا تفهمين يا مارثا ، إنه خطوة أمن
احتياطية أتخذها ضد هجوم الظلام المفاجئ . . إنني أخشى
الظلام هذا المساء يمارثا . . أخشى الظلام . ستختفي الشمس
عما قريب في مياه البحر المالحة ، وسيستيقظ من نومه حيوان
الظلام الخرافي . . لهذا فإن كل أنوار البيت يجب أن تضاء قبل أن
يصل زاحفاً بأطرافه الأخطبوطية داخل حجرات البيت . . مغرقاً
كل شيء هنا في الهواء الأسود الذي ينفثه (لحظة صمت) .

مارثا هلا أشعلت شجرة عيد الميلاد أيضاً .

الخادمة : ماذا تقولين ياسيدي؟ هل ذكرت شيئاً عن شجرة عيد الميلاد؟

السيدة : قلت أوقديها . . مارثا . .

الخادمة : ولكن . . سيدتي . تفصلنا عن عيد الميلاد أشهر عديدة
مضت . . أو بالأحرى أشهر عديد تأتي

السيدة : إنني فقط أريد أن أرى شجرة عيد الميلاد مضيئة هذا الليلة . .
أريد أن يغمر البيت الكثير من الضوء . . لعل هذا يزيل قليلاً
من الكآبة التي أحس بها تحط في قلبي هذا المساء .

الخادمة : أمر سيدتي . . (تخرج إلى حجرة داخلية) .

السيدة : هل رأيت أزهاراً أحضرتها من الحديقة منذ قليل .

الخادمة : (من خارج المسرح) إنها هنا في المطبخ .

السيدة : أحضرها معك .

(تخضر مارتا باقة الأزهار وشجرة عيد ميلاد متوسطة الحجم) .

السيدة : (وهي تنظر إلى شجر عيد الميلاد) إنها مليئة بالغبار . . انفضيها
قبل إشعالها . (تتحرك السيدة نحو إناء الزهور لتضع الأزهار
الجديدة مكان الأزهار الموجودة بالإناء)

الخادمة : (تغني بصوت خافت مقطعاً من أغنية الاستهلال في حين
تنفض الغبار عن الشجرة . . ثم تستدرك قائلة) . . بعد قليل
سيطرق الباب ، مثل عادته دائماً .

السيدة : نعم ، إنه سيأتي ، ما إن تغيب الشمس حتى يظهر هو .

الخادمة : كما لو كان يأتي راكباً شفق الغروب . مع مجئ الشفق يجيء . .
ما حاد يوماً عن مواعده أو غير يوماً من الطريقة التي يدق بها
باب البيت .

السيدة : إنه أبدأً لا يخشي الظلمة .

الخادمة : ربما هو يخشي النور .

السيدة : لابد أنه قد مل هذا الطرق اليومي على باب بيتنا .
الخادمة : إنني أتساءل أحياناً عن السر في أنه لا يستعمل الجرس أبداً .
إنه فقط يأتي ويدق الباب برفق وهدوء . . تاك . . تاك . .
تاك . . في إيقاع منتظم ورتيب كأنها هو شفرة سرية .
السيدة : كان في صباه يعزف البيانو . . كان عزفه أشبه بالسحر . . بحيث
يغوى قلوب البنات الصغيرات فلا تتحقق إلا له .
الخادمة : ثلاث مرات . . إنه أبداً لا يدق على باب البيت أكثر من ثلاث
مرات ، وعندما لا يسمع جواباً يعود . . تاركاً وراءه صمتاً غريباً
شفافاً . أكاد أراه من خلال وقع قدميه وهما تضربان الأرض . .
وأسمع خطاه وهي تذوب في البعيد .
السيدة : إنه ناضج الآن بالدرجة التي يعرف معها أن أربع طرقات هي
أكثر مما يلزم .
الخادمة : لقد فكرت فيه دائماً باعتباره . . شاباً وسيماً وصغير السن . .
شعر كثيف وملامح دقيقة كملامح الأطفال . . وبالرغم مما
أسمع عنه فإني احتفظ له في قلبي بصورة مشرقة زاهية .
السيدة : إنه أكبر سنّاً مما تظنينه يامارثا . . إنني أحرص كل يوم علي أن
أرى صفحة الحظ في جريدة المساء وأقرأ ما تقوله النجوم أمام
تاريخ ميلاده . . وهذا في الحق هو مصدر معلوماتي الدائم
عنه . . فمنه أعرف تماماً ما يعانيه وما يمر به .
الخادمة : لقد مضي الآن ما يقرب من عام منذ أن بدأ في المجيء إلي باب
بيتنا . . ومنذ ذلك الحين لم يفشل يوماً واحداً في أن يؤدي طرقاته

اليومية . . حتي في أقصي عنفوان الشتاء بأمطاره وثلوجه لم يتوقف عن المجيء . . أو عن طرق الباب . . إن المرء ليحتاج إلى طاقة جبارة من الإصرار لأن يفعل ذلك بنفس هذه الدقة والمثابرة .

السيدة : لقد كان طوال عمره عنيداً .

الخادمة : هل قرأت ما تقوله النجوم عن حظه اليوم . .

السيدة : لم أفعل بعد؟

الخادمة : أي الأشهر هو؟ (تلتقط الجريدة من منضدة قرية)

السيدة : إبريل

الخادمة : وأي الأيام هو يوم ميلاده؟

السيدة : لاتشغلي بالك بهذا . . اتركي الصحيفة جانباً واهتمي بتنظيف الشجرة .

الخادمة : إنها لاتأخذ مني دقيقة . . أي الأيام في شهر إبريل؟

السيدة : الرابع عشر.

الخادمة : (تتمعن في الجريدة) سيدي . أليس اليوم هو الرابع عشر من إبريل .

السيدة : (بدهشة) ماذا تقولين يامارثا .

الخادمة : نعم . . إنه اليوم . . (بسعادة) إذن اليوم عيد ميلاده . . عيد ميلاده يا سيدي .

السيدة : (بعد لحظة تفكير) كأنني كنت أدرك هذا . . إحساس غامض
دفين كان يلازمنى طيلة المساء . . كأنني كنت أعرف . .

الخادمة : (بكآبة مفاجئة) إذن فهو لن يأتي اليوم مع غروب الشمس . .
لن يدق كما هي عادته كل يوم باب بيتنا . سنفتقده إذن هذا
المساء .

السيدة : لماذا؟ لماذا تقولين إنه لن يأتي اليوم؟

الخادمة : بالتأكيد . . سيذهب ليحتفل بعيد ميلاده في مكان ما . . لن
يجد وقتاً ليأتي ، خاصة وهو يعرف أن أحداً لن يفتح له الباب . .
. أو يقول «عيد ميلاد سعيد» على الأقل .

السيدة : سيكون هنا تماماً في الموعد المحدد . . اذهبي وضعي الإناء فوق
النار . . وأعدي المائدة لشاي المساء . . فأنا أشعر بأنه سيكون
ضيفنا هذه الليلة . .

الخادمة : هل معني ذلك أنك ستسمحين له بالدخول إلى البيت إذا
جاء . . أرجوك يا سيدتي لاتفعلي هذا . . إنها مجازفة كبيرة ، لا
أحد يدري عواقبها ، أنت تعرفين مدى خطورة الرجل .

السيدة : إنه لا يبحث عن المتاعب . . إنه رجل يبحث عن نخباً .

الخادمة : ولكن كيف تستقبلين في البيت مجرمًا . . هارباً ، تطارده
سلطات الأمن في كل مكان . . إن لديك اسمك الطيب واسم
المرحوم زوجك . . وأن تضعي في الاعتبار سمعة «ملاجىء
الأيّام» التي تشرّفين عليها . . فكري في كل مايمكن أن يجلبه
هذا من تأثير سيء على المكانة الاجتماعية التي تحتلّينها والشركة
التي ترأسينها . . لاتنسي مسؤولياتك الكبيرة ياسيدتي .

السيدة: فعلاً لقد حان الوقت لأن أعني مسؤولياتي .

الخادمة: ثمة شيء آخر . لو تسمحين له بالدخول اليوم فإنه يكون قد حقق غرضه ، ولن يأتي بعد ذلك ليطرق الباب أبداً ، وستكون حياتنا شيئاً لا يطاق بدون دقائقه اليومية . لقد صار مجيئه جزءاً من طقوس المساء . . يضيف لونا ونكهة لأمسياتنا . . إنني لا أستطيع تخيل أمسية تمر دون دقائقه الحميمة فوق باب البيت . . إنك لن تضحي بهذا أيضاً .

السيدة: من أدراك أنه لن يتوقف عن المجيء وهو لا يجد غير الصدود طيلة عام كامل .

الخادمة: إنك تخطئين ياسيدي . . أنا على ثقة من أنه يستمتع بهذا الصدود . . فلقد صار المجئ إلى بابنا عادة محببة إلى قلبه ' لا يستطيع تركها . . يجي ليطرق الباب ثم يعود كأنها هي طبيعة الأشياء أرادت ذلك . . فدعي الأمر كما هو يا سيدتي . . لا تتدخل فيا أرادته الطبيعة كي لا يختل الميزان . . لا تفتحي الباب الآن ياسيدي إذ إنه لا معنى لأن تتركه بالخارج عاماً كاملاً ثم تأتي الآن وتفتحي له الباب .

السيدة: أنا ملزمة بأن أفتح له الباب يا مارتا . . لا أستطيع أن أبقيه خارج البيت لمجرد التسلية .

الخادمة: أنت حقاً ملزمة بأن تفتحي له الباب يا سيدتي؟ وإذا لم يأت اليوم . إذا ذهب عتفلاً بعيد ميلاده في مكان ما .

السيدة : إنه سيأتي ، وسيحفل بعيد ميلاده هنا . . (لحظة صمت) ذلك أنه يعرف أن الميعاد قد حان لأن يفتح له الباب .

الخادمة : إنه يهددك إذن ياسيدي ، لابد أن يهددك بطريقة ما . . كنت على ثقة من أن مجرماً مثله لابد وأن . .

السيدة : (تقاطعها) سيكون ضيفنا على الشاي هذا المساء . . ضعي على المائدة أكواباً فضية بدلاً من أكواب الاستعمال اليومي . . دعيه يحس بأننا نحتفي بقدومه . . اجعلي كل شيء يبدو مبهجاً بها فيه الكفاية .

(مارثا تضيء شجرة عيد الميلاد . ثم تذهب إلى المطبخ . .
السيدة تجلس وتأخذ الجريدة تتصفحها . . مارثا تعود) .

الخادمة : وضعت الإناء فوق النار . . (تنتبه إلى أن السيدة تقرأ الصحيفة)
أتقرئين باب الحظ ؟

السيدة : لقد حان ذهابك يا مارثا .

الخادمة : يجب ان أبقى ياسيدي ، لأفتح له الباب وأقدم له الشاي .

السيدة : سأفتح له أنا الباب وأقدم الشاي .

الخادمة : ولكن سيدتي .

السيدة : عودي إلى بيتك . . مارثا .

الخادمة : أود فقط أن ألقى عليه نظرة .

السيدة : سترينه فيما بعد . . مارثا .

الخدّامة : لكنني لا أعرف مكاناً غير هذا المكان أذهب إليه .

السيدة : يجب أن أقابله وحدي . . (تأخذ بعض النقود من حقيبة يدها)

سيساعدك هذا في العثور على مكان تأوين إليه .

الخدّامة : هل أحضر غداً في الصباح .

السيدة : تعالي متى تشائين . (السيدة تدير ظهرها لما راها التي تترك الغرفة إلى حجرة داخلية . تأخذ معطفها وحقيبة يدها وتخرج . الشمس غربت الآن . السيدة تشعل سيجارة . تتفقد وعاء الزهور وشجرة عيد الميلاد . تتصفح الجريدة . . بقلق . . فترة وجيزة ثم يطرق الباب) . (تخرج السيدة تفتح الباب)

صوت الرجل - (من خارج المسرح) طاب مساؤك . . اليزابيث . (يظهر الرجل على المسرح . في الأربعينيات من عمره ، قامة فارهة وبناء عضلي قوي ، يرتدي ملابس تقليدية ذات ألوان زاهية . يحمل معه ربطة من الزهور الدابلة)

السيدة : لقد تقدمت بك السن يا دونالد .

الرجل : وأنت كما أنت ، اليزابيث ، لا شيء فيك قد تغير .

السيدة : إنني امرأة وحيدة . . أدركها الكبر .

دونالد : لكن التوهج الذي كان يفيض به وجهك مازال ذات التوهج .

السيدة : (بعد لحظة صمت) هل هم يتبعونك ؟

دونالد : من هم ؟

السيدة : الناس الذين يتبعونك .

دونالد : إنهم لا يعرفون لي مكاناً .

السيدة : ألم تتعب من هذه اللعبة .

دونالد : لا أتعب منها أبداً لأنني ألعبها جيداً . . حتى عندما كنت صغيراً كنت أكثر الأطفال موهبة في العثور على مكان أختبئ فيه . . عندما نلعب ألعاباً كالتي ألعبها أنا الآن .

السيدة : (فجأة) لماذا جئت ؟

دونالد : كنت ماراً بالصدفة من أمام البيت ، ورأيت أنه من اللائق أن آتي إلى هنا . . طالما أن لديك مناسبة تحتفلين بها (يقدم لها الزهور) عيد ميلاد سعيد لك ياسيدي .

السيدة : (تأخذ الزهور) عيد ميلاد سعيد لك أنت أيضاً . . لكن هذه الزهور تعني أن الزيارة كانت مقصودة .

دونالد : إنه الربيع . . ينتشر في كل مكان خارج البيت والزهور أيضاً في كل مكان . . لا يقتضي الأمر إلا أن يمد الإنسان يده ويقطفها . ضعيها في الإناء . . إن لديها عبيراً معتقاً .

السيدة : شكراً علي أي حال (تضع الزهور في الإناء بدلاً من الزهور التي كانت موجودة أصلاً) يبدو أنك انتظرت طويلاً .

دونالد : الانتظار . . إنني أمارسه بخبرة ومهارة لامثيل لهما منذ أول يوم عرفت فيه العمل لحساب الآخرين .

السيدة : لقد كنت دائماً طفلاً صعباً .

دونالد : وكنت أنت دائماً باباً مفتوحاً لي .

السيدة: ولكنك ذهبت بعيداً.. صرت إنساناً آخر مداناً من كل الناس، أخبار الجرائم التي ترتكبها في كل صحيفة.. إنك مطلوب.. مطلوب.

دونالد: إن هذا أفضل من أن يكون الإنسان غير مطلوب من أحد.

السيدة: ذهبت إلى السجن مرات عديدة.

دونالد: وحطمته وخرجت منه مرات عديدة أيضاً.

السيدة: أناس أبرياء (صمت) أنت قتلتهم (صمت) لقد كانوا أبرياء.

دونالد: بينما أنت هنا تقدمين التبرعات الطائلة لجمعيات الأيتام.

السيدة: لقد كنت هناك بالخارج لاتفعل شيئاً سوى اغتيال سعادة الناس الأبرياء.

دونالد: وأنت هنا لاتفعلين شيئاً سوى الاعتناء الكامل بالأعمال التجارية التي خلفها زوجك الراحل.

السيدة: إنني أخشاك يا دونالد.

دونالد: لاتخشى شيئاً طالما أن أعمالك التجارية رائجة.

السيدة: لقد كانوا أبرياء.

دونالد: لا أحد بريء.

السيدة: الأيتام أبرياء (صمت) لقد كنت يتيماً أنت نفسك، عمرك ستة أيام عندما جاءوا بك إلى.. غزت براءة وجهك قلبي.. فوضعتك فوق حجري ومنحتك صدري، أرضعتك وغذيتك حتي صرت كبيراً.

دونالد: ثم طلبت مني أن أذهب . . رميت بي إلى بحر هائج وقلت لي
«حان وقت الإبحار».

السيدة: كان ذلك عندما بلغت سن الفطام .

دونالد: وحيث إنني ذهبت مبحراً تحت رايتك الخاصة . . فإن كل الرحلة
لم تكن إلا نزهة .

السيدة: طموحك العظيم هو أن تغزو هذا العالم .

دونالد: ليس مهماً إذا ما كنت قد غزت العالم أو لم أغزه طالما أنني لم أكن
هناك بالخارج إلا لأداء مهمة محددة ، هي أن أقدم إمدادات
لملاحئ أيتامك ، أغذيها بأيتام جدد . . لكي تواصل المسيرة . .

السيدة: ما ظننت عمري أنك ستغدو شريراً إلى هذا الحد .

دونالد: ليس سهلاً أن تنفذي يدك من الأمر بكل هذه البساطة ، ومهما
كان ظنك بي فأنت تعرفين تمام المعرفة أنني كنت هناك بالخارج
أفعل ما أردتني أن أفعل ، أنجز مهمة أنت أوفدتني إليها وكلما
فعلت شيئاً كنت أفكر فيك جالسة هنا في ركنك المفضل تقرئين
بسعادة باللغة أخبار ما فعلت في صحف اليوم التالي عارفة أنني
أفعل ذلك بالنيابة عنك .

السيدة: ليس ثمة من دليل علي ما تقوله فأنا باعتباري أرملة رجل حاز
في الاقتصاد أعظم الأوسمة حاولت دائماً أن أرتفع إلى مستوى
السمعة التي خلفها وراءه المرحوم ، أن أواصل ما بدأ وأقود حياة
كريمة شريفة .

دونالد: وباعتبارك رئيسة مجلس الإدارة فأنت حريصة على أن تزدهر
أعمال الشركة تحت رئاستك . .

السيدة: وأنشر السعادة والهناء بين التعماء من الناس .
دونالد: أرامل رجال لم يأخذوا أوسمة . (يصفر إناء الشاي في
المطبخ) . .

السيدة: حان ميعاد الشاي . . (يذهب دونالد إلى جهاز الأسطوانات
ليضع أسطوانة حديثة . يرقص على الموسيقى . تدخل السيدة
تجر منضدة الشاي الصغيرة وعليها إناء الشاي واثنان من
الأكواب الفضية وقطعتا جاتوه . تملأ فنجانا له وآخر لنفسها) .

السيدة: (وهي تقدم له فنجان الشاي) نسيت الخادمة أن تحضر شموعاً
تعمل بها كعكة العيد . . ليعد عليك بالخير والهناء .

دونالد: وأنت أيضاً . . بالمناسبة لأبد أنك قد كتبت وصيتك الآن .

السيدة: هل هذا ماجئت من أجله .

دونالد: إنني هنا فقط من أجل أن أراك سعيدة .

السيدة: ألسنت باقياً هنا .

دونالد: تعرفين تمام المعرفة أنني لا أستطيع أن أبقى .

السيدة: إنك هنا لكي تبقي . . دونالد . . إنهم يبحثون عنك في كل
مكان . . سوف يجدونك ، وسوف يأخذونك إلى السجن مرة
أخرى . وربما يصل الأمر إلى حد شتقك . .

دونالد: إنني لست باقياً . . وأنت تعرفين ذلك . . لقد جئت فقط
لأذكرك بالوصية . إن لدي مهام لأبد من إنجازها بعد أن أكون
قد أكملت مهمتي هنا .

السيدة: يجب ألا تذهب . . يادونالد .

دونالد: يجب أن أذهب . . اليزابيث . .

السيدة: لماذا يجب أن تذهب؟ هل هو موعد؟

دونالد: حسناً . . إنه موعد . .

السيدة: أين مكانه؟

دونالد: ليس بعيداً .

السيدة: مع من هذا الموعد؟

دونالد: أحد الناس ممن لا تعرفين .

السيدة: ما هو اسمه؟

دونالد: لم هذا الاستجواب؟

السيدة: تواعد امرأة هذه الليلة، أليس كذلك؟ . تسألها أن ترافقك إلى

النادي الليلي . . تدعوها إلى وجبة عشاء فخمة، ورقص يمتد

إلى آخر الليل وما إلى ذلك .

لابد أنها طفلة غرة، ترضي زهوك الذي لاحد له . . كم عمرها

ياتري . . أربعة عشر . . خمسة عشر . . يفضل أن تكون

شقراء . . أو فقط «ذات جمال ملحوظ» كما يحلو لك التعبير .

إلي أين ستأخذها ياتري؟ ملهي الدانيوب . . أليس هو ملهي

الدانيوب؟ . . أكثر الأماكن في المدينة أمناً بالنسبة لرجل هارب

من العدالة حيث الأضواء ناعمة خافتة تضيفي على ملاحك

طابعاً من النبل المزيف؟ وبسلوك مبالغ في وجاهته سوف تسأل

الساقبي زجاجة من الشامبانيا ومقداراً كافياً من الكافيار . شيء يليق بمناسبة كهذه؟

وستذوب الطفلة السكرية تحت تأثير كرمك وشهامتك ونبيل ملاحك . . بعد ذلك - سيحين موعد الرقص . . نحن جميعاً نعرف كم أنت بارع في الرقص . . نحن جميعاً نعرف أنك تفضل الرقص بطيئاً . لذا كن رقيقاً بأضلع الطفلة الصغيرة . . لا تحطم صدرها الغر . . فالليلة لم تنصم بعد . . انتهى الرقص . . وهمست لها بقصيدة الأنجم السعيدة التي تحتفظ بها لمثل هذه المناسبات . . وحان الآن موعد ذهابكما معاً إلى ركنك المظلم حيث تحتبئ النهار كله . وبعد أن تكون قد مضغت لبانتك معها . . لاشيء يبقى سوى أن تسألها السؤال المعتاد : ماهي رغبتك الأخيرة؟

وقبل أن تفتح شفيتها لتجيب تمد إليها ذراعين كذراعي الأخطبوط وتلف حول عنقها الصغير أصابع يعلوها الشعر، ودونها رحمة، بل بنشوة ولذة . . تكتم أنفاسها . . قل لي : أنا مخطئة . . قل : إن هذا كذب . (تبكي) .

دونالد : إن هذه أعراض سيئة لمرض خطير . اليزابيث . إنك تعرفين أنني لم أتصرف يوماً بمحض إرادتي ، كنت دائماً مجرد الخادم المنفذ لرغباتك . . المطيع لها طاعة عمياء .

السيدة : لا تذهب إذن . ابق هنا . كفاك تسكعاً وسفكاً للدماء .

دونالد : لم أخلق للبقاء داخل البيوت . متعتي الوحيدة في الدنيا أن أكون في الهواء الطلق مؤدياً واجباتي .

السيدة: ناشراً الموت .
دونالد: والارتياح .
السيدة: ألا تستطيع أن تضع حداً لكل هذا؟ .
دونالد: لا أستطيع . . اليزابيث .
السيدة: ألا تحاول؟ .
دونالد: لافائدة، وصلت إلى نقطة اللاعودة . (تتوقف السيدة عن بكائها الخفيف)
دونالد: (بعد فترة صمت) اليزابيث .
السيدة: ماذا تريد يا دونالد؟
دونالد: جففي دموعك .
(السيدة تجفف دموعها بمنديل معها . . لا تقول شيئاً) .
دونالد: والآن . . اليزابيث .
السيدة: والآن ماذا؟
دونالد: (واقفاً) لنبدأ العمل الآن .
السيدة: (تقف مرتجفة . . وهي تحاول التراجع إلى الخلف) . . العمل؟؟
دونالد: تعالي إلى هنا . . اليزابيث (هي لا تتحرك يتجه دونالد نحوها في خطو بطي) تعالي إلي هنا . أخبريني الآن .
(يمد نحوها ذراعيه . . يتجه فاثماً يديه نحو عنقها . . بينما هي تتجمد رعباً)
ماهي رغبتك الأخيرة؟
(ستار)

الصحيفة

(غرفة الجلوس في بيت عائلة إنجليزية الوقت مساء يوم بارد الرجل يجلس إلى منضدة وسط المسرح ، يرفع أمامه صحيفة تحجب وجهه عن المشاهدين في الصالة . من وقت إلى آخر يأخذ رشفة من فنجان الشاي الذي أمامه . زوجته امرأة كبيرة في السن . تدخل من باب في أحد جوانب المسرح ، تأخذ طبقاً فارغاً من أمام الرجل . ترتدي فستاناً منزلياً بسيطاً وتعقد حول وسطها مريلة المطبخ . في الجانب الأيسر مدفأة تشتعل بالحطب وبجوارها كرسي فوتيل ، الرجل في عمر يقارب عمر زوجته)

هي : (تأخذ الطبق الذي أمام الرجل) هل أعجبتك؟

هو: (بلا حماس) نعم يا عزيزتي . نعم لقد أعجبتني!

هي : (بحماس شديد) إذن ستكون هذه وجبة نتناولها كل أسبوع ، ما رأيك؟

هو: لا . . لا تقولي ذلك ، تعرفين جيداً أننا لا نستطيع أن نجعلها وجبة أسبوعية (لحظة صمت) الأفضل أن تبقى على هذا الحال ، لكي تبقى دائماً لذيذة (لحظة صمت) الروتين سيقتل طعمها!

هي : ولكن لن يقتل رائحتها ، فدائها لها نفس العبير!

هو: تعرفين ما هو الروتين ، عندما يصبح الشيء روتينياً فقد انتهى!

هي : (بصوت يشوبه بعض الأسى) لقد كانت هذه وجبتنا المفضلة التي
نتناولها كل يوم في السنين الأولى من زواجنا أليس كذلك يا
عزيزي!

هو: نعم، نعم، في تلك الأوقات المبكرة!
هي : (في طريقها إلى خارج الغرفة) لعل الوقت قد تأخر بنا الآن (لحظة
صمت) هل أنت متأكد من أنها أعجبتك؟

هو: نعم ياعزيزتي، وإلا ما كنت أكملت الطبق!
هي : حسناً إذن . (تأخذ الطبق إلى الخارج وتعود بعد أن خلعت مريلة
المطبخ، تجلس في كرسي الصالون قريباً من المدفأة، يقلب هو
الصفحة الأولى من الجريدة) .

هي : هل من جديد في صحيفة اليوم أيها العزيز.
هو: لاجديد، إنها هي هي، كما كانت بالأمس، وكما هي غداً.
هي : لماذا إذن تصر علي قراءتها كل يوم أيها العزيز!
هو: لأنها تكتب بطريقة مختلفة كل يوم، نفس الشيء ولكن بأسلوب
مختلف .

هي : هل هذا ما يسمونه «سحر الكلمات»؟ هل هذا ما يجعلك تقرؤها
كل يوم؟

هو: بالضبط، هذا ما يجعلني أقرأها كل يوم يا عزيزتي!
هي : (بدلال) ولكنك تعاملني بطريقة مختلفة!
هو: ماذا تقصدين يا عزيزتي .

هي : لو قلت شيئاً مرة ، فلإنك لاتنصت إليه لو أعدته مرة أخرى . .
أليس كذلك؟

هو: سأنصت إليه ، بالتأكيد سأنصت إليه لو قلته بأسلوب مختلف
ياعزيزتي؟ هل تفهمين؟

هي: نعم أفهم ، ولكنني لا أملك مايسمونه سحر الكلمات ، ولا أريد
أن أملكه ، فهو يبدو كما لو أن الإنسان عليه أن يتحول إلى ساحر
أو ساحرة ، وأنا لا أريد ذلك ، عندما كنت طفلة صغيرة . أستمع
إلى حكايات الأطفال كنت أتمنى فعلاً أن أكون تلك الساحرة
التي تملك قوة سحرية تحت تصرفها ، ولكن هذه الفكرة لم تعد
تروق لي بعد أن كبرت !

هو: إنك رائعة كما أنت ياعزيزتي !

هي: ولكنهم يملكون هذه القوة السحرية التي تجعلهم يجبرون الناس
على قراءة ما يعيدون كتابته كل يوم . . أليسوا هم كذلك ياعزيزتي !

هو: (مستغرق في قراءة الصحيفة) إنهم كذلك ياعزيزتي !

هي: (كانها وقعت على اكتشاف) ويبيعون الأسلحة إلى إسرائيل أيضاً . .
أليسوا هم كذلك؟

(يقلب صفحة أخرى ولايقول شيئاً)

هي: إنهم يبيعون الأسلحة إلى إسرائيل أيضاً . . أليسوا هم كذلك !!

هو: (بنفاد صبر) هذه مسألة أخرى !

هي: أعني في الصحيفة . . أليس هذا ما يقولونه في الصحيفة كل يوم !

هو: نعم يا عزيزتي ، إنهم يفعلون ذلك ، إنهم يبيعون أسلحة إلى إسرائيل ، إن هذا في الصفحة الأولى ، وأنا الآن أقرأ الصفحة الرابعة !

هي : هل بدأت قراءتها من الصفحة الأولى كما هي العادة !

هو: نعم يا عزيزتي . . من الأولى كما هي العادة !

هي : ماذا تقرأ في الصفحة الرابعة !

هو: «أين تسهر هذا المساء» !

هي : هل تقرأ هذا أيضاً !

هو: وهل تريدني أن أبقى جاهلاً بما تعرضه المسارح ودور العرض هذا المساء !

هي : (باشمئزاز) إنها تمتليء بالنماذج الشاذة !

هو: ماذا تعنين ؟

هي : أعني أن موضوع أفلامهم ومسرحياتهم هذه الأيام صار يمتليء بالحديث عن النماذج الشاذة !

هو: إنني لا أهتم مطلقاً بهذه الأشياء !

هي : (بغضب وحدة) لماذا تقرأها إذن !

هو: (مرتبكاً) ماذا ؟

هي : (بنفس الحدة) لماذا تقرأها إذن ؟

هو: لأعرف ماذا يعرضون !

هي : ولكنك تدرك ، كما أدرك أنا ، أننا لم نعد نذهب إلى السهر خارج البيت !

هو : ماذا تقصدين يا عزيزتي ، إننا دائماً نخرج للسهر خارج البيت !
هي : (ترك الكرسي . . وتذهب نحو الرجل) متى كانت آخر سهرة ذهبنا إليها ؟

هو : منذ أسبوع مضى
هي : (بلهجة المحققين) وإلى أي مكان ذهبنا ؟
هو : إلى المسرح !
هي : إلى أي مسرح ذهبنا ؟ !
هو : الاولديك .

هي : وما هي المسرحية التي ذهبنا كي نشاهدها ؟
هو : عطيل .
هي : (بلهجة هادئة وقد عادت إلى مقعدها) كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً يا حبيبي !
هو : لا . لا تقولي هذا ، لقد كان ذلك منذ أسبوع واحد مضى ، أنا واثق مما أقول !

هي : (بإشفاق حقيقي) ما أسرع ما يمضي الزمان أيها العزيز ، وخمسة عشر عاماً يمكن أن تلوح وكأنها أسبوع واحد . .
هو : (وقد بدا التأثير واضحاً في لهجته) ولكن الصورة لا تزال واضحة في ذهني ، أذكر عندما قتل زوجته ديدمونة ، وعندما وضع الوسادة فوق وجهها حتى ماتت اختناقاً في سريرها . .

هي : (وكانها اشتمت قصداً سيئاً من كلامه) ولكنه ندم كثيراً على فعلته بعد ذلك؟

هو: نعم، نعم، لم أنس شيئاً من ذلك، لقد كلفته حياته!
هي: كانت حقاً «فترة دموية» كما يقول الحوار في آخر المسرحية!
هو: إذن فقد كانت الأسبوع الماضي!

هي: لا يا عزيزي، إن «الخارج» الوحيد الذي نذهب إليه هو الكنيسة يوم الأحد، والحديقة عندما يكون النهار مشمساً، هذا هو «الخارج» الوحيد الذي نذهب إليه.

هو: كيف تقولين ذلك في حين أننا منذ فترة بسيطة مضت حضرنا حفلاً كبيراً، كنت أنا ارتدي بدلتني الرمادية، وكنت أنت ترتدين ثوباً ناصع البياض، كان هناك عدد من أكبر وأهم شخصيات المجتمع!

هي: (وقد سرحت بأفكارها مع كلماته) نعم . . نعم، وزراء ومدراء وأعضاء برلمان وضباط من الرتب العالية في الجيش، كل واحد كان يتسّم لنا ويأتي إلينا مصافحاً ومهتماً، كل شخصيات المجتمع المشهورة كانت هناك، حتي نجوم المسرح والغناء حضروا الحفل!

هو: وصحفيون، أفضلهم، وأكثرهم شهرة كانوا هناك، وأذكر الآن أضيواء كاميراتهم كيف كانت قوية إلى حد أنها كادت تحرق عيني!

هي: لقد كتبوا عنه في كل الصحف التي صدرت في اليوم التالي، وهناك كانت صورتانا، أنا وأنت، وأنت تضع ذراعك حول كتفي، وكان العنوان «حدث الأسبوع»!

هو: والشمبانيا . . كان كل الناس يشربون شمبانيا!

هي : وكتبوا علي لسانك في الصحيفة تقول إن ذلك اليوم كان أسعد أيام حياتك !

هو: أفضل فرقة موسيقية في المدينة . . جاءت لتعزف لنا ذلك اليوم !
هي : نعم نعم ، لقد رقصنا معاً . وغنينا ، وشربنا ، وضحكنا كثيراً كثيراً ،
كم كان ممتعاً كل ذلك . . كم كان ممتعاً !

هو: ما أكثر ما ابتهجنا ذلك اليوم ، وكم كنت أنا وأنت سعيدين إلى
أبلغ حد (لحظة صمت كأنهما يستعيدان بهجة ذلك اليوم) كم
مضى على ذلك الحفل ؟ عشرة أيام ؟ !

هي : لا لا يا عزيزي ليست عشرة أيام ، لقد حدث ذلك منذ زمن بعيد
مضى .

هو: كيف تقولين ذلك ، إنها مجرد فترة قصيرة ، فأنا أذكر كل تفصيلة
صغيرة من تفصيلات ذلك الحفل ، وكذلك أنت !

هي : كل شيء ممكن يا عزيزي . إن لك حساً قوياً بتلك القدرة الهائلة
التي يمرق بها قطار الزمن السريع ، فلا تجعل الأمر يزعجك ،
استمر في قراءة صفحة الترفيه ، لا تجعل هذا الحديث يفسد عليك
«ترفيهك» ! ! (لحظة صمت طويلة) قل لي . . عندما تصل إلى
صفحة الوفيات أيها العزيز !

هو: (بشيء من الضيق) إنها في الصفحة السادسة عشرة ، ولن أصل
إليها فيما تبقى لي من العمر لو استمرت تقاطعيني بهذه الصورة !

هي : نعم يا عزيزي ، لم يبق من أعمارنا ، إلا القليل ، ولكن لماذا تريدني
أن أبقى صامته ، هل لأنني ذكرت إسرائيل .

هو: لا، لم يكن ذلك هو السبب!

هي: لابد أن يكون ثمة شيء جديد في صفحة الوفيات!!

هو: نعم يا عزيزتي ربما لأنها الصفحة الوحيدة التي تكتب دائماً بنفس الأسلوب، كل يوم نفس الكلمات، إن تحريرها أكثر سهولة من كل الصفحات الأخرى!

هي: هل يأخذون أجراً علي كتابتها!

هو: من؟

هي: الناس الذين يكتبونها!

هو: نعم إنهم يأخذون أجراً يا عزيزتي . . نعم!

هي: ويبيعون الأسلحة إلى إسرائيل . . ألا يفعلون ذلك يا عزيزتي!

هو: نعم إنهم يفعلون، كم مرة يجب أن أقول لك ذلك!

هي: ولمن أيضاً يبيعون الأسلحة!

هو: إلى مختلف بلاد الدنيا!

هي: ويبيعون الأسلحة إلى جنوب أفريقيا أيضاً!

هو: إنهم يفعلون، إنك تعرفين كل شيء حول هذا الموضوع!

هي: أليس هذا هو العنوان الرئيسي في الصحيفة لعدد اليوم!

هو: لا يا عزيزتي، إنهم يحتفظون به للعدد الذي يصدر غداً!

هي: لماذا ياترى يبيعون الأسلحة، ماذا نقول الافتتاحية حول هذا الموضوع!

هو: إنهم يصنعون كميات كبيرة منها، فلا بد أن يجعلوا أحد الناس يشتري شيئاً منها!

هي: ويصنعون الحروب، إنهم يبيعونها من أجل الربح إذن!

هو: لا أظن ذلك، الافتتاحية لم تذكر إطلاقاً هذا الكلام!

هي: ماذا تقول الافتتاحية إذن؟

هو: ما هذا الوهم الذي سيطر علي ذهنك اليوم. لقد أصبتني

بالارتباك، يجب أن أعيد قراءة هذا العمود، لم أستطع أن أفهم ماذا

يريد الكاتب أن يقول. (تمنحه. . لحظة كي يواصل القراءة)

هي: (دون أن تنظر إليه) ما الذي جعلك تبتسم؟ لأي شيء ياتري أنت

تبتسم!

هو: (بخوف) لم ابتسم.

هي: (في غضب) لقد ابتسمت!

هو: كيف عرفت ذلك؟

هي: ليس ضرورياً أن أذهب إليك وأضع عيني في وجهك لأعرف إن

كنت تبتسم أم لا، فقد تربت لي من خلال هذه السنين ملكة

أستطيع أن أعرف بها كل تصرفاتك حتى لو لم أرك!

هو: قد لا يكون ابتساماً!

هي: ما هو إذن؟

هو: لا أعرف!

هي : (تذهب نحوه) أنا واثقة من أنها كانت ابتسامة ، ابتسامة غمرت وجهك كله . ما الذي جعلك تبتسم؟

هو: لا أعرف على وجه اليقين .

هي : هل هي نكتة في الصحيفة جعلتك تبتسم؟

هو: لست متأكداً .

هي : هل كنت تحلم؟

هو: لا أدري!

هي : هل كان في الأمر كابوس؟

هو: لا أعلم!

هي : أنت تعلم أنك لا تستطيع أن تبتسم دون أن تجعلني أنا أيضاً أعرف سبب هذا الابتسام . . فهي قل لماذا ابتسمت؟!

هو: لعله . لعله . .

هي : (مقاطعة) لعله ماذا؟

هو: لعله التعب!

هي : من القراءة؟ (عادت إليها لهبتها الهادئة) لماذا لاترك الصحيفة إذن!

هو: لا أستطيع ، تعرفين جيداً أنني لا أستطيع ، إن على أن أنتهي من قراءتها كاملة!

هي : حسناً يا عزيزي ، سأحضر إليك نظارة القراءة ، فهذا ما تحتاجه الآن!

(تذهب مسرعة وتحضر إليه نظارة سوداء ، تجلس إلى مقعدها ، في حين يقلب صفحة ثم أخرى)

هي : لقد قفرت صفحتين مرة واحدة ، هل هما نقد الكتب !
هو : نعم . . إنها كذلك !

هي : إنك دائماً تتمتع عن قراءة هذا الباب ، ولكنك لم تقل لي لماذا ؟
هو : لأنهم أبداً لا يكتبون هذا الباب بلغة إنجليزية ، إنهم لا يكتبون الموضوع إلا ونصفه بالفرنسية أو اللاتينية القديمة !

هي : ولكننا نحب هذه الصحيفة ، إنها تغطي الأحداث بطريقة عظيمة ، أحداث الوطن وأخبار العالم ، أخبار الفن وأخبار الرياضة ، المواليذ والأموات ، الزواج والطلاق ، كل شيء !

هو : إنها بالتأكيد أفضل الصحف جميعاً . (لحظة من الصمت تمر ، ثم تبدأ هي في الضحك ، ثم يزداد الضحك علواً ، إلى أن يصبح أقرب إلى الهستيريا)

هو : ماذا هناك ؟

هي : مضحك ؟

هو : ما هو المضحك ؟

هي : هل تعرف ماذا فعلت يوم أمس ؟

هو : ماذا ؟

هي : (بضحك هستيري) مضحك إلى حد فظيع !

هو : (يتوجس خوفاً) ماذا تقولين ؟

هي : لقد كنت تمسك بالصحيفة وهي مقلوبة !

هو : (باندهاش وذعر حقيقتين) ما هذا الذي جئت تقولينه !

هي : لقد كانت الصحيفة مقلوبة ، . وكنت تقرأها كما لو كانت في وضعها السليم ! (يرمي بالصحيفة بعيداً ، يتحسس بيده المنضدة . يقع فنجان الشاي على الأرض . يبدو وجهه للمشاهدين واضحاً . يدركون الآن أنه كان رجلاً أعمى . يذهب باتجاه المرأة . يتكئ على حافة المنضدة).

هو : (منفجراً) إنك تكذابين . . تكذابين !

هي : إنها حقيقة .

هو : لقد خدعتني . . خدعتني . كان يجب أن أعرف . كان يجب أن أقول لي إنني أمسك الصحيفة بطريقة خاطئة ، لا أن تجعليني استمر في قراءتها وهي مقلوبة لقد خدعتني ، خدعتني ، إنني اختنق ، خدعتني . إنني أختنق (يحاول أن يفك ربطة عنقه ، تذهب لتساعده).

هي : كنت سأقول لك ، ولكن الوقت كان متأخراً عندما أدركت أنك تقرأها بطريقة خاطئة ، كنت قد قاربت من الانتهاء من قراءتها (تلتقط فنجان الشاي الذي سقط فوق الأرض) لا تحملهما يا عزيزي ، كان هذا بالأمس فقط ، أما اليوم فقد كان كل شيء على ما يرام !

هو : قد لا يكون الأمس فقط ، قد يكون نفس الشيء حدث اليوم ، قد أكون كل هذه السنين أقرأها مقلوبة . . من يعرف ؟ من يعرف ؟

هي : لقد حدث ذلك مرة واحدة . . بالأمس فقط .

هو : كيف حدث ذلك ؟

هي : أعترف بأن الغلطة كانت غلطتي ، فعندما وضعت الصحيفة على عتبة الباب كما جرت العادة نسيت أن أحافظ على نفس الوضع الذي كنت أضع به الصحيفة كل يوم ، رميتها كما اتفق وجئت أنت وأخذتها معتقداً أنها وضعت بنفس الطريقة القديمة !

هو : وكيف تسمحين لنفسك بارتكاب غلطة فظيعة مثل هذه !

هي : كل يوم ولمدة خمسة عشر عاماً ، آخذ الصحيفة بعد أن تكمل قراءتها ، وأضعها هناك علي عتبة الباب لتقرأها في اليوم التالي ، نفس الصحيفة ، بنفس الطريقة ، دونما خطباً واحد كل هذه السنوات ، ثم تأتي اليوم لتسمي هفوة بسيطة مثل هذه «غلطة فظيعة» !

هو : هل أنت غاضبة مني !

هي : أبداً يا عزيزي لست غاضبة (لحظة صمت) هل أنت غاضب مني !
هو : لست غاضباً يا عزيزي منك . . (تذهب هي في ببطء وتلتقط الصحيفة من فوق الأرض)

هو : لا أستطيع أن أقرأ شيئاً فيها !

هي : اترك الأمر اليوم ، وغداً ستقرؤها وكان شيئاً لم يكن (تذهب نحو عتبة الباب ثم تقف) سوف نفكر في موضوع ملئ بالإثارة لنجعله العنوان الرئيسي للصحيفة غداً .

هو: أين هي (يتحسس المتضدة) أين هي الصحيفة؟

هي: سأضعها قرب الباب!

هو: هاتيها (ويمد إليها يداً ترتعش).

هي: (وقد أحست بالخطر في لهجته . . تردد في إعطائه الصحيفة).

هو: (بتصميم) هاتيها (ما زالت يده ممدودة).

(تردد مرة أخرى، ثم تتقدم منه في ببطء شديد. تضع الصحيفة في

يده. يبدأ هو في تمزيق الصحيفة إلى قصاصات صغيرة، تقترب

هي حتي تقف بجانبه. بعناية شديدة تأخذ الصحيفة الممزقة إلى

قصاصات، تذهب بها إلى نار المدفأة، تضع القصاصات في النار

وتجهش بالبكاء وهي ترى هذا الوهم الذي صنعتته مع زوجها لمدة

خمس عشرة عاماً قد تحطم اليوم. في حين وقف هو ينظر إلى البعيد

بعينين انطفأ نورهما في حزن وصمت!)

(ببطء شديد ينزل الستار)

لن يقتلوا الربيع

(رجلان وامرأة وسط الحقول)

الرجل الأول - إنه نيسان شهر العطر والشذا ويوح العشق وغناء الورد .
أكملت الأرض الجزء الأول من دورتها حول محور
الشمس ، فانتهى الشتاء وعادت أنثي الريح التي أعيها
الصراخ صامته إلى كهفها ، وأقفل رب الرعد والبرق
والعواصف صندوق أعباءه فوق جبال الأولمب ، وأطلت
افرودايت تنشر فوق الكون جدائل شعرها الذهبي ، فغمر
الدنيا ضياء فصل جديد ، زاخرا بالوعد ونداء الحياة ،
مضمخا بعطر الأرض وعبيرها ، مخضبة لياليه بحناء
القمر ، وزعفران النجوم .

إنه الربيع يأتي حاملاً قوارير عطر، يرش بها الأفق ساكباً
في أذن الكون أنغام فجر جديد . وما إن سمعت الشجرة
موسيقى الفجر حتى سرى في أغصانها نسغ جديد ،
وتفتقت فوقها زهرة لها تويج من نار، رأى الطائر كل هذا
فأسكره الشذا ومضى ييوح للزهرة بقصة العشق الذي
داهمه في تلك اللحظات . كانت زهرة خجولة حيية لم
تعش قصة حب قبل هذا اليوم . ما إن سمعت غناء

العصفور وبوحه ، حتي منحتة نفسها منذ اللحظات الأولى وسمحت له بأن يرتشف الندى من فوق شفيتها . .

ثم بعد لحظات قصيرة من العشق ، رأت العصفور ينشر جناحيه في الفضاء ويطير إلى زهرة أخرى يغني لها ويثبها لواعج قلبه ، عندها بكت الزهرة وأدركت أن الحزن هو قدر الزهور الساذجة التي تؤمن بالحب من أول نظرة!

الرجل الثاني - إنه نيسان ، شهر الطيور ، الطيور العاشقة التي لاتؤمن بالوفاء لزهرة واحدة وإنما تمنح قلوبها لكل الزهور ، ما إن تعود إلى أوطانها بعد أن أعيها الرحيل عبر المسافات ، حتى تنفض عن أجنحتها غبار السفر والغربة ، وذكريات البرد والمطر والثلوج ، وتملأ مناقيرها بالشوق لموسم الخصب والنماء ، تبني فوق الأغصان وأعلى الجبال أعشاش الحب ، وتسيل حناجرها بالإنشاد احتفالاً بالحياة في دورتها المتجددة الخضراء ، وتهيم عشقا بالأزهار والينابيع والسواقي وقطرات الندى . . فتغمر الكون بهجة الغناء .

الرجل الأول - إنه شهر الفراشات التي أيقظها الغناء ، تأتي وهي تحمل فوق أجنحتها أقواس قزح لاتحصى ، لتقيم بين الأشجار والأعشاب مهرجان الألوان ، وتبدأ من فورها حلقات الرقص حول النار ، وما إن يراها طفل الحب الإلهي ، حتى يأتي راكبا جياد السحب البيضاء ، ماثلا جعابه بالسهم ، يدخل معها حلقات الرقص ، ويباشر عبثه الطفولي مطلقا

سهام الحب يرشق بها قلوب الرجال والنساء وكائنات الغابة . أصاب سهم من سهامه غزالة تركض عبر الحقول ، فتوقفت عن الركض وهي تتأوه وترنو إلى قمر جميل أضاء السماء . أدركت أن سهام طفل الحب الإلهي قد أصابت قلبها ، وأنها صارت عاشقة لذلك القمر البعيد الذي لاسبيل إلى الوصول إليه . ولكن طفل الحب العابت واصل رقصه مع الفراشات غير عابئ بعذابات غزالة أوقعها في حب لا أمل فيه .

الرجل الثاني - إنه شهر ذوبان الجليد فوق قمم الجبال ، ما إن تسيل الجداول وتبدأ السواقي غناءها الجميل حتى تتنفض الأرض وتعلن عن بداية موسم الاحتفالات . تتفتح البراعم فوق أشجار اللوز والبرتقال ، وتتأوه الأغصان وأوراق العشب وتتحول إلى أذرع خضراء تعانق أشعة الشمس ، وتشعر دفعات الهواء بشذا الزهور ، وينبض الأفق بجلال الألوان ونشيد الربيع . . ويبدأ العرس .

الرجل الأول - ما أعظم بهاءك أيها الشهر الذي نصبه الشعراء أميراً على كل شهور العام ، ومنحته ربات الحسن الثلاث بركاتها وخرجت ترتدي أجمل فساتينها ، توقد قناديل النجوم نجمة ، نجمة ، وتطوف بأكواب ملأتها برحيق الحب فتسقي القلوب ، قلباً قلباً ، ثم تجلس للعزف على أوتار القيثارة ، فيضج الكون بالألحان وتغمر أركانه بهجة المحبة والسلام !

(تدخل المرأة)

المرأة - لا . ليس هذا صحيحاً ، فلماذا لا تقولان الحقيقة إنه ليس شهر الحب والسلام والألحان التي تغمر الأرض والسماء ، إنه شهر الرعب القادم من الظلام . شهر طيور الموت السوداء . . . وقنابل النار والدخان ، إنه شهر آلام المسيح الذي يعاد صلبه من جديد كلما جاء نيسان . . إنه الشهر الذي ينسلخ فيه بعض البشر عن بشرتهم ويظهر فيه الإنسان الخفاش الذي يأتي يحمل فوق أجنحته الموت والدمار . . .

كان ذلك في الساعة الثانية بعد منتصف ليلة من ليالي الربيع . . كانت مدينتي تنام هائلة في أحضان قمر فضي علقته آلهة الضوء في قبة السماء . . .

وكان ليل المدينة يعقب برائحة القرنفل وشذا أزهار الفل والياسمين وبساتين اللوز والمشمش والبرتقال . . .

هجع الأطفال إلى مراقدهم بعد أن هدهدتهم أمهاتهم بأغنية حب الرمان وحكت خرافة البحار السبعة وابن السلطان . هائلة كانت مدينتنا تنام .

الصغيرة رشا . وضعت عروستها في حضنها ونامت ، وألفت أبت أن تترك عرجون الفل ينام بعيداً عنها ، وضعت بهجوارها ونامت .

آمنة ، هائلة كانت مدينتنا تنام ، فقد ظن أهلها إنهم حقاً يعيشون في عالم تحكمه شرائع الإنسان ، وفي عصر حقق حضارة الأمن والسلام للبشر جميعاً ، وفي عام أسموه في المنظمات الدولية العام العالمي للسلام !

هائشة كانت مدينتنا تنام .

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، تماماً في تلك الساعة ،
والقمر كرة من البراءة البيضاء تنير الدنيا ، في تلك الساعة ، الثانية
بعد منتصف الليل ، انفجر فوق مدينتنا الجحيم الأمريكي . .

فزعت الطيور التي كانت تنام في مراقدها ، وفرت من أعشاشها
تبحث عن هواء لم تلوثه أنفاس الخفافيش الأمريكية ثم سقطت
ميتة فوق الأرض .

وتخضب لون القمر الفضي بدم رشا وألفت ونيل وغيرهم من
أطفال كانوا سادرين في أحلام وردية عن الغد الأبدى فجاء الرعب
الأمريكي يقتلهم ويغتال أحلامهم ، كما تخضب لون القمر بدم
عراجين الفل وعرائس الألعاب .

من بيته المظلم ، الأسود ، في أقصى بقاع الدنيا ، أرسل ريجان
العجوز الذي نصب من نفسه أميراً للموت والظلام والخراب ،
أسراب خفافيشه تعبر سبعة بحار ، لتزرع الموت فوق مدينتنا ،
وجلس بأنيا به الزرقاء التي يقطر منها الدم أمام شاشات إذاعته
المرئية يتفرج علي خفافيشه وهي تغتال الربيع وتسفك دم الزهور
وتقتل الأطفال والعصافير . .

نعم كان ذلك في ليلة الخامس عشر من شهر الطير (إبريل) عام
١٩٨٦ في منتصف الشهر الذي تسمونه شهر الحب والربيع
وأعراس الأرض . . فلماذا تزيفون الحقيقة؟ لماذا لاتسمون الأشياء
بأسمائها؟ فهو شهر الحقد والرعب وموت الربيع !

الرجلان (معاً) لا . . إنهم لن يقتلوا الربيع .

الرجل الأول - نعم لن يقتلوا الربيع . برغم أمير الظلام وخفافيشه ، برغم
ريجان ذي الأنياب الزرقاء التي يقطر منها الدم وطيوره
السوداء ، برغم كل ذلك فإنهم لن يستطيعوا أن يقتلوا في
نفوسنا الربيع ! لن يقتلوه في قلوبنا وفوق أرضنا !

الرجل الثاني - نعم يا أماء ، سوف يظل نيسان شهر الحب والعشق
وأعراس الأرض وغناء الطيور وشدو السواقي وعبير الزهور
برغم رعبهم ، فإن الغزاة العاشقة لن تتوقف عن حب
القمر ، والزهرة التي تعودت أن تقع في الحب من أول نظرة
لن تتوقف عن حقها في ممارسة الحب .

برغم حقدهم ، فلإن الأرض سوف تستمر تدور حول محور
الشمس ، تأتي بربيع جديد كل عام ، ولن يمنعنا ظلامهم
من أن نحتفل به كما تحتفل الطيور والفراشات والأزهار
والغزالات .

الرجل الأول - ما الذي استطاعوا تحقيقه يا أماء ؟

هل حققوا هدفا واحدا مما أرادوه ؟

هل قتلوا في أهلك إرادة الحياة ؟

هل سقطت الراية التي رفعناها عاليا تحقق بالعزة ومجد
الكبرياء ؟

هل هوت النجوم التي رصعنا بها السماء أو توقفت عن
إرسال ضوئها الذي يغمر الكون بسناء الثورة ؟

هل أطفئوا مشاعل الحرية التي أشعلناها فوق أرضنا؟

وكما أن النجوم لا تهجر سماءها .

والجذور لا تهجر أشجارها .

فنحن أيضاً يا أمه لن نهجر ربيع الحياة في بلادنا . . سنظل

نعيش معه ، ونحتفل به ، ونرقص ونغني على موسيقي

الفجر التي تعزفها أيامه الخضراء .

هارولد

(مسرحية في مشهد واحد)

(أثناء ساعات الدوام الرسمي . مكتب أحد المدراء في مؤسسة تشتغل بالغوص البحري في مدينة بريطانية . المدير يجلس على المكتب منهمكا في قراءة إحدى الصحف . طرق علي الباب . يدخل هارولد)

المدير - (دون أن يرفع وجهه عن الصحيفة أو ينظر باتجاه الرجل الذي دخل إلى غرفة مكتبه ووقف قريبا منه) أهلاً هارولد . تفضل بالجلوس .

هارولد - عفوك سيدي . أريد فقط أن أعبر عن أسفي لأنني . .

المدير - (مقاطعاً) لاحاجة بك للاعتذار يا هارولد ، لاتبق واقفاً هكذا . تفضل . اجلس .

هارولد - (يجلس) لأبد أنك أخطأت يا سيدي فظننت أنني رجل آخر لأن اسمي في حقيقة الأمر هو «ألن» .

المدير - ما بك يا هارولد (يترك الصحيفة جانبا) لماذا تقول كلاماً لا معنى له . اسمك بالتأكيد ليس «ألن» . إنه هارولد . كان دائماً اسمك هارولد . إنه اسم لا غبار عليه إطلاقاً . بل هو اسم جيد جداً في واقع الأمر . فلا تحاول أن تعتذر عن هذا الاسم يا هارولد .

بالعكس عليك أن تكون فخوراً به . لاتنس أنه كان هناك ملك عظيم اشتهر في التاريخ بهذا الاسم . ولهذا فإنني أرجوك ألا تحاول أن تتنكر لاسمك هذا أو تهرب منه .

هارولد - ولكنني لايمكن أن أخطيء في معرفة اسمي . إنني واثق من صحة قواي العقلية . واثق من أن اسمي هو «ألن» . ولم يحدث أن دعاني أحد باسم هارولد ، غيرك أنت الآن . إنني لا أعرف صديقاً ولا قريباً يحمل هذا الاسم . إنني علي يقين بأنك تخطئ بيني وبين إنسان آخر يحمل هذا الاسم . وأستطيع أن أثبت لك في الحال أن اسمي هو ألن وليس هارولد .

(يقف ويضع يده في جيب سترته الداخلي بحثاً عن حافظة أوراقه الشخصية)

المدير - (بلهجة رسمية) عد إلى مقعدك أرجوك .

(ثم بلهجة ودية) لاشيء يستطيع أن يغير حقيقة أن اسمك هارولد أيها العزيز هارولد ، ووقوفك علي هذه الشاكلة مدعياً أن اسمك هو ألن لن يزيدني إلا اقتناعاً بمدى التناقض بينك وبين هذا الاسم الجديد الذي انتحلته الآن . إنه اسم لايمت اليك بصلة ولا أراه بادياً في أي جزء من مظهرك أو ملامحك . اجلس أرجوك يا هارولد .

هارولد (يهز كتفيه بلا مبالاة) حسناً إذن (ضاحكاً) إن كنت تحب اسم هارولد ، وتريد أن تنادي به كل إنسان يدخل مكتبك فأنت حر . (يأخذ من جيبه ظرفاً مفتوحاً ويقدمه إلى المدير ويجلس).

المدير - (ينظر نظرة سريعة إلى الورقة التي أخرجها من الظرف) أفهم أنك جئت راجباً في العمل هنا وإن التي أرسلتك هي الوكالة . . .

هارولد - (يكمل الجملة بحماس) الوكالة العالمية للأعمال البحرية . يعتقدون أنني ملائم جداً للوظيفة . قمت بكل الاختبارات المطلوبة ولم يبق إلا موافقتكم النهائية .

المدير - هل أخبروك بالمخاطر الكثيرة التي يتعرض لها العاملون في هذه الحرفة .

هارولد - إنها ليست حرفة بالنسبة لي ، وإنما هواية وممتعة . الغوص تحت الماء هو رياضتي المفضلة التي لا أحب رياضة غيرها منذ أن كنت طفلاً . حلم حياتي كان دائماً أن أصبح غواصاً محترفاً .

المدير - (يخرج من مكتبه ويذهب باتجاه هارولد الذي يقف أمامه يضع المدير يده فوق كتف هارولد ويتأمل به إعجاب) إنه شيء رائع . شيء بديع . إنني أشعر دائماً بالامتنان والرضا عندما أجد رجالاً تمتليء قلوبهم بحب لإنجلترا ، وعلى استعداد للموت من أجلها .

هارولد - (بشيء من الحرج) إننا نتحدث عن الغوص . إنه لا يشبه الموت أبداً . إنه شيء ساحر . شيء جميل .

المدير - نعم . هذا ما أقصده . إن الغوص من أجل البلاد التي نحبها أمر جليل أيضاً .

هارولد - (بأدب عليه الحرج لا يزال) إنني في الحقيقة من أصل إيرلندي . هذا طبعاً لا يعني أنني لا أحب إنجلترا . أقول هذا توضيحاً للأمور حتي إذا أردتم إعادة النظر في الموضوع كله ، فإنني أقبل ذلك بصدر رحب .

المدير - أبدأ، العكس هو الصحيح. إنني أكثر فخراً وإحساساً بالرضا والامتنان عندما أرى رجلاً إيرلندياً يمتلئ قلبه بحب انجلترا وعلى استعداد لأن يذهب من أجلها، مخاطراً بحياته في بحر الشمال. هارولد - (يبدو حائراً) نعم سيدي، نعم. (مردداً دون تفكير) مخاطراً من أجلها في بحر الشمال.

المدير - يجب أن نبحث دائماً عن رجال شجعان مثلك، يتحمسون للغوص تحت الماء من أجل بلادهم. يجب أن يظل المدد متواصلاً لا ينقطع (بصوت أكثر خطورة) لأنه، كما تعلم، فإن الفاقد من البشر في هذه المهنة ليس قليلاً. حالة مأساوية أليس كذلك؟ (يضع توقيعاً على الورقة ويعيدها إليه) حسناً لقد تم قبولك للعمل معنا. قدم هذه الأوراق للمكتب المجاور. ستجد هناك من يتولى إكمال الترتيبات.

هارولد (وهو يأخذ الورقة) متى تحبون، سيدي، أن أبدأ العمل؟ المدير - في أية لحظة تشاء، منذ الآن إذا أردت، وداعاً. (هارولد يهز رأسه بالتحية ويتجه إلى الباب متمتماً بكلمات الشكر وما إن يصل إلى الباب وبهم بفتحه حتى يسمع نداء المدير) - هارولد.

هارولد - (يلتفت نحو المدير وقد تجمد في مكانه) نعم. المدير - لماذا أنكرت اسمك الحقيقي. (ينظر هارولد إلى المدير في حيرة وأسي). لماذا قلت إن اسمك هو «ألن» وليس «هارولد». هارولد (يتحرك نحو المدير ويتحدث بصوت تكاد تخنقه العبرات) إنه

فعلاً «ألن» يا سيدي . يمكنك أن تتأكد بنفسك من ذلك .
(يخرج محفظة أوراقه وبطاقته الخاصة) هذه بطاقة الهوية . هذه
بطاقة التأمين الصحي . هذه بطاقة الاشتراك في المواصلات
العامة . هذه بطاقة النادي الرياضي الذي أنتمي إليه . المصرف
الذي أتعامل معه . كلها تنبئك باسمي الحقيقي . إنه «ألن» .
«ألن» . «ألن» . (يرمي بجميع هذه البطاقات أمام المدير) .

المدير - (يتأمل البطاقات واحدة واحدة ، تمر لحظة صمت ثقيلة ، قبل أن
يقول بصوت بارد) إنها جميعاً تقول إن اسمك هو هارولد !

هارولد - (في حالة من الذهول وعدم التصديق يتناول البطاقات . تملكه
حالة من الرعب وهو يمعن النظر في أولى البطاقات) إن هذا أمر
مستحيل غير معقول . لا أستطيع أن أصدق ما يحدث . (يأخذ
بطاقة أخرى) إنها أيضاً تقول بأن اسمي هارولد (يأخذ بقية
البطاقات واحدة بعد الأخرى ويتمعن في كل واحدة منها) وهذه
أيضاً تقول هارولد وهذه أيضاً هارولد .

هارولد . هارولد . هارولد .

(يحس بالانهيار فيتكيء علي المكتب ، وبصوت أجش ، لاهث ،
متقطع ، يقول) أحس بالاختناق . لا أستطيع أن أتنفس . لا
أستطيع أن أتنفس .

(ستار)

المحتويات

٥	إهداء
٧	استهلال
٩	غناء النجوم
٣٥	زائر المساء
٥١	الصحيفة
٦٥	لن يقتلوا الربيع
٧٣	هارولد

رقم الايداع . ٩٧ / ١٦٥٧
I.S.B.N.977- 09 - 0369 - 8

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصرى - ت ٤٠٢٣٢٩٩ - فاكس ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



صدرت للكاتب العربى الليبى الدكتور أحمد إبراهيم الفقيه أعمال روائية وقصصية ومسرحية ، ضمنّت له مكانة مرموقة على خارطة الأدب العربى ، كما حظى باهتمام عالمى عندما ترجمت هذه الأعمال إلى مختلف اللغات .

ودار الشروق وهى تشرف بتقديم أحدث ابداعات هذا الكاتب إلى القارئ العربى لعلّى ثقة من أن هذه المجموعة من المسرحيات ستكون موضع ترحيب من الأوساط المسرحية فى كافة أنحاء الوطن العربى .